www.liilas.com/vb3

روايات عبير

www.liilas.com

لحن الحب

ميليندا كروس

كوكا الحلوه

لقد كتبا معاً موسيقى جميلة... ولكن هل هذا يكفي؟

الموسيقى كانت السلوى الوحيدة المتاحة «مادلين تشاجرز» في طفولتها البائسة... وخاصة اغاني الموسيقار الياس شيبرد. لقد سحرتها الحانه وأخذت بشغاف قلبها.

تحقق حلمها عندما عرض عليها استاذها الروحي عملاً. وحينما سمعها الياس شيبرد تعزف الحانه، في مباراة محلية، ادرك على الفور انها الشخص الذي بمستطاعه انقاذ مهنته... وروح الإبداع عنده.

تغنى الياس بحبه لمادلين في الحانه، ولكن هل يستطيع ان يلفظ الكلمات الرائعة التي انشدت في اغانيه؟

www.liilas.com/vb3

«ما مدى أصابعك؟»

«عشرة مفاتيح.» فردت أصابعها على وسعها على راحة يده، تصديقاً لكلامها، ثم، فجأة وعلى غير توقع، حدث شيء ما. شعرت وكأن أصابعها أصبحت على نار، بعد أن جذبت الحرارة من راحتيه الحساستين، وكان من الواضح أنه شعر بذلك أيضاً، لأن عينيه رفتا بدهشة في نفس اللحظة التي رفت فيها عيناها، وأخذ نفساً عميقاً ومسموعاً.

تجمدت مابلين، وقد سمرتها الاشارات المتبادلة بين يديها وعقلها، ونظرته المخدرة. وفيما هي تراقبه، اتسعت حدقتا عينيه حتى بدا أن لونهما الأسود قد أمحى تقريباً لون عينيه الأخضر، ولسبب ما شعرت بالخوف.

«لا اعتقد أنني سمعت ألحاني حقيقةً، حتى اللحظة التي سمعتك تعزفينها اليوم.» قال لها، ولكن بصورة ما أحست أن نبرته يغلفها وعيد أكثر من اطراء. «وأنا غير مستعد أن اسمح لأي كان بالتدخل بهذا الوضع.»

www.lilas.com/vb3

الفصل الأول

جلست مادلين في الظلال المظلمة في مؤخرة قاعة المحاضرات الكبيرة، ذقنها مرفوعة وعيناها مغمضتان. عندما تنفست، تحركت بمحاذاة ذقنها خصلة شعر خطّها الشيب. ولكن، ما خلا ذلك ولولا ارتعاش أناملها الخفيف في حركة آلية على حضنها لكانت ساكنة تماماً.

بدا الشحوب على قسمات وجهها الباهت كلون شعرها. تعتريها هذه الحالة كلما غادرت شقتها في مانهاتن. نظرات الغرباء المحدقة إليها بازدراء قد دفعت بها إلى تفضيل البقاء في بيتها، ولكن هذا اليوم كان خاصاً في حياتها. فهي لم تهتم بالنظرات الفظة، وهي في الواقع، لم تكترث لها.

عادت قسمات وجهها لتستعيد صفاءها في تلك الأثناء، الأمر غير المألوف في تلك القاعة، حيث كانت الوجوه، في معظمها مشدودة بإحكام. وطافت مادلين بنظرها على شتات المتبارين الآخرين الموزعين بين مئات المقاعد الشاغرة. وتكوّن لديها رأي في أن معظمهم من عازفي البيانو المحترفين ولكنهم يغردون خارج سربهم في مباراة سوف يحظر عليهم فيها عزف الموسيقى الكلاسيكية. وقد تناهى إلى مسمعها تذمر بعض الذين كانوا جالسين في المقاعد القريبة منها.

ماذا يريد مؤلف موسيقى مشهور مثل الياس شيبرد من

كوكا الحلوه
www.lilas.com/vb3

عازف بيانو كلاسيكي، بحق السماء؟» تمتم شاب صغير.

«ومن تراه يأبه؟» أجابه رفيقه: «طالما انه يملك المال ليسلّم جوائز كهذه، والله لأعزف أي شيء يرغب في سماعه. إلا أن المشكلة تكمن في أنني لست متأكداً من كوني أستطيع عزف الموسيقى التي تروق له.»

راحت مادلين تتفرس في [illegible] تشبع [illegible] التوتر الظاهر فيها... الذي أمست تتنشقه مع روائح العطور التي كانوا قد تخضبوا بها... و بتجرد مطلق، شعرت بالشفقة عليهم. فهي لم تحضر الاحتفال لتنال رضى أحد، بل جاءت من أجل الجائزة المالية فقط. حتى أن الجائزة المرصدة لمن يتبوأ المركز العاشر كانت تعتبر ثروة في حد ذاتها: أما امكانية احتلالها للمراكز الأولى المتقدمة، فلم تخطر على بالها قط. فهي، على أية حالة، لم تكن محترفة، وإنما مجرد مدرسة بيانو تعمل في نيويورك وتعيش عيشة مقتصدة. التفاؤل كان حالة ذهنية ذهبت مع أيام طفولتها.

ذكريات الطفولة هذه قد وضعت على رف النسيان وقد مهرها الزمان بختمه وصارت أشبه بأوراق قديمة لا جدوى منها، مزدحمة داخل علبة دفعت إلى أقصى الخزانة. ولكن، في أوقات كهذه، عندما تكون محبطة، كانت هذه الذكريات تزحف إلى صدر أفكارها، كبقعة على بساط تظهر مرة بعد الأخرى، مهما تعرض ذلك البساط للتنظيف والفرك.

غير شرعية. العبارة طُبعت في ذهنها وكأنها تعليق على وجودها إثر ظروف ولادتها. فقد كان أبوها رجلاً غير معروف. أما أمها فكانت مراهقة يائسة لم تنعم بطفولتها... وبلغت مادلين إلى هذا العالم، غير متوقع حضورها وغير

[illegible] محطمة بذلك حياة أرواح شابة قبل أن [illegible] أنفاسها الأولى.

[illegible] علمت بعد سنوات أن مؤسسة التبني الخيرية قد [illegible] عليها لقباً آخر أكثر سوءاً من سلفه: «صعبة التبني.» [illegible] كيف حازت على هذا اللقب الجديد، بل شكّت في أن [illegible] كانت [illegible] الأزواج [illegible] يحلمون بأطفال موردي الوجنات، ممتلئين صحة [illegible] عيون زرقاء صافية وثغور كالبراعم.

لكن مهما كانت الأسباب، فقد كانت طفولتها سلسلة من الذكريات عن بيوت التبني، أماكن جيدة، في معظمها، صالحة، ويشرف عليها اناس خليقون بالمهمة المناطة بهم لكنهم ظهروا وغابوا من حياتها كالرمال المنسابة من بين أناملها. مادلين الطفلة تعلمت باكراً أن ليس هناك من [illegible] الا عاطفة، مهما تناهت في صدقها، تدوم. ومادلين الشابة لا تجد سبباً يدعوها لأن تتحول عن معتقدها هذا. العلاقة الوحيدة التي أتيح لها أن تسبر غورها كانت تلك القائمة بينها وبين تلك الآلة الجامدة، البيانو، مع أن معظم الناس قد يعتبر هذا اعترافاً مأساوياً لحياة فارغة. مادلين لم تنعم بأكثر من ذلك، وقد كان كافياً [illegible]

[illegible] الأولى بالتبني كانت قد أجلستها على مقعد البيانو عندما كانت لا تزال طفلة تحبو. وقد كوفئت في حينها بابتسامة فيها الكثير من الدهشة والشفقة من راعيتها الوحيدة الصغيرة. فلوحة البيانو بمفاتيحها البيضاء، والتي كانت تبدو لها كأسنان شريرة، راحت تعطي ألحاناً سحرية

مدهشة، وهكذا عشقت مادلين تلك الآلة ووقعت في غرامها

الظروف التي رافقت حياتها لم تكن لتسمح لها بغير القليل من الدروس الأساسية، ولكنها كانت كافية. متسلحة بمعظم التعليمات الأساسية، لقنت مادلين نفسها العزف لأسياد الموسيقى، باخ، وشوبان، وبيتهوفن وموزار والآن، وهي في ربيعها الخامس والعشرين، أصبحت بارعة بصورة تكفي لتقوم بمحاولة تدريس الأطفال [illegible] اضطرت أن تدرسه لنفسها. وقد كانت على العموم راضية أو على الأقل هكذا كانت حتى السنتين الماضيتين. حين بدأت تعزف موسيقى الياس شيبرد، وعلى حين غرة، وقعت في الحب للمرة الثانية في حياتها.

مجرد ذكر اسمه يجعلها مرهفة. فتحت عينيها الواسعتين الرماديتين اللتين كانتا أشبه ببراري المناطق الباردة. رمقت المسرح المشع بأنواره بعيداً أمامها، وشاهدت أحد العمال وهو يفتح غطاء البيانو الضخم، ويجهز منصة الموسيقى ويتفحص الميكروفون على المنصة إلى يمين المسرح.

سوف تبدأ قريباً مباراة الياس شيبرد السنوية الأولى للعزف على البيانو، وستصدح قاعة المحاضرات. لهذه الأمسية على الأقل، بموسيقاه.

بل موسيقاها هي، لأنها هكذا صارت تنظر إلى أعماله الجديدة،عروض الألحان، موسيقى الأفلام والأغاني الشعبية جعلت منه إنساناً مشهوراً. ولكن فجأة، ومنذ ما يقارب السنتين، تغيرت طبيعة الموسيقى التي كان يعزفها وصارت أكثر اصطباغاً بالحزن. شعرت بصدى يأسه

[illegible] ألحانه الحزينة والمثيرة للمشاعر، وسمعت رجع [illegible] في صوت الأنغام، كأنه كان يحدثها عبر موسيقاه؛ [illegible] في الأخرى تكلمه حين تعزفها. للأسف، العالم لم [illegible] رأيها. فقد حمل النقاد على آخر أعماله الموسيقية بالنقد والتجريح، وتوقف منتجو الإذاعة والتلفزة عن الاستعانة به لإستخدام موسيقاه في أفلامهم [illegible] ولم تعد الجماهير تحتشد لحضور حفلاته.

[illegible] باركس» وجاءت المناداة من المسرح الذي [illegible] أنواره تخبو رويداً رويداً فيما أخلى أحد المتبارين مقعده وسط القاعة ومشى بخطى ثابتة في الممر.

تململت مادلين قليلاً في مقعدها وشدت على ذراعي ذلك المقعد وقد استعادت هدوءها، لكن عينيها شفتا بانتظار ما سيكون.

[illegible] باركس رجلاً طويل القامة، نحيل الوجه، ذا شعر طويل [illegible] وقسمات بارزة ـ الصورة النموذجية لعازف البيانو الطموح فيما يجلس أمام الآلة، رأسه مردود إلى الخلف وأنامله الطويلة مترامية على المفاتيح.

أغمضت مادلين عينيها للنغمات الأولى المتألقة، متهيئة للانتقال مع الجمال البائس لإحدى مقطوعات شيبرد، لكن بعد فاصلة موسيقية، فتحت عينيها وتجهمت. كان باركس يعزف المقطوعة التي أخطأ في اختيارها. ببراعته المشهودة، كان لا يتبع التوقيت الصحيح مدخلاً عاطفة مفرطة لم تكن متناسقة مع روح القطعة في سهولتها وإيقاعها.

أخيراً أنهى باركس مقطوعته. فتبعه متبار آخر، وآخر،

www.liilas.com/vb3

فآخر، إلى أن توقفت مادلين عن سماع الموسيقى الصادحة من المسرح وسمعت الموسيقى فقط في ذهنها، كما يمكن أن تعزفها.

أخيراً، وبعد ساعات، جاءت المناداة على اسمها. «مادلين شمبرز؟» خصائص المسرح الصوتية قد امتصت اسمها لتجعله أكثر رونقاً.

«أنا هنا.» وقفت مادلين بتؤدة وقد تصلبت بعد جلوس طويل. فقد كانت تقريباً آخر المتبارين. ولمحت، وهي تدنو من المسرح، أن القاعة قد باتت خاوية تقريباً.

«هل أنت جاهزة، يا آنسة شمبرز؟» جاءها الصوت من وراء وهج الأضواء في مقدمة خشبة المسرح فيما كانت تجلس أمام البيانو. صوتاً أنثوياً ناعماً واختير خصيصاً للمناسبة، لتهدئة أعصاب المتبارين المرهقة.

«نعم.» أومأت مادلين برأسها وهي تبتسم باحترام كلي أمام الآلة الموسيقية الرائعة، والتي كانت تختلف عن آلتها القديمة في البيت.

هذه القطعة مهداة لك، يا سيد شيبرد، فكرت بصمت. أتعرفت عليها أم لا، ولكن هذه هي الطريقة التي ستصدح بها موسيقاك.

لمست أناملها المفاتيح في مداعبة لطيفة، وأصلحت جلستها قليلاً إلى أعلى، وبدأت، فيما روح إنسان لم تكن قد التقته، تنبعث من بين يديها.

في الصف العاشر من القاعة، بدا الهدوء فجأة على وجه رجل فيما عيناه الخضراوان الداكنتان مسمرتان إلى المسرح.

• • •

بعد ساعتين، كانت مادلين في شقتها الصغيرة المؤلفة من غرفة نوم واحدة وشرعت في تبديل حذائها ذي الكعب الرفيع، ومئزرها الأسود، وانتعلت خفاً ولبست فستانها الأبيض المجعد. وأزالت الاصباغ عن وجهها، ثم وقفت أمام المرآة في غرفة نومها وراحت تمشط شعرها، إلى أن أصبح شبيهاً بهالة متكسرة حول كتفيها وقد خبا لونها.

توقفت وسط حركاتها النظامية المتكررة، وضاقت مقلتاها وهي تتفحص رموشها الداكنة الكثيفة حول عينيها كالأحجار الرمادية المثلجة. لم يكن يعيبها أن يكون شعرها وعيناها وبشرتها فاتحة اللون حتى الشفافية، برغم أن رموشها الداكنة تبدو كأنها تعود لشخص آخر...

تنهدت وهي تتحول عن المرآة، وقد آنست ارتياحاً في كونها بعيداً عن نظرات الغرباء.

لم تكد تخطو وسط فوضى أثاثها في الصالون وهي في طريقها إلى المطبخ، حتى سمعت قرعاً عنيفاً على الباب. فتغيرت ملامحها.

شدت على حزام مئزرها ومشت إلى الباب وفتحته قليلاً بتردد، وألقت بنظرة خاطفة من جانب الباب.

«مبروك.»

تقلصت عينا مادلين قليلاً إلى أعلى لتطلا على قسمات رجل في الظلمة لم تره من قبل. فقالت وهي تنظر بعين واحدة في الضوء الخافت في الرواق: «أستميحك عذراً؟»

«لقد قلت مبروك، فهذا لك.»

كان ممسكاً بمغلف أبيض لم تستطع تمييزه. وبحركة

www.liilas.com/vb3

يسيطة من رأسه استطاعت مادلين أن تتبين عينيه وقد غمرهما النور، فحدقت فيهما، وقد سحرها لونهما الأخضر المفرط في بريقه، لا يمكن أن تجد له مثيلاً إلا في خضرة البساتين في عز ربيعها.

أخذ تحديقها الصامت إليه بعض الوقت، وهو على ما يبدو قد آنس به. ثم أحنى رأسه قليلاً. «يوجد شيك بقيمة كبيرة من المال طي هذا المظروف يا آنسة شميرز.»

تنهدت مادلين وقد تقوس أحد حاجبيها. «حقاً؟ حسناً، إنه شيء بديع، ولكنني لست بصدد بيع أي شيء، شكراً.»

ظهرت على وجهه ضحكة فيما كانت تهم بإغلاق الباب. «إنها الجائزة الكبرى لمسابقة العزف يا آنسة شميرز. أنتِ فزت بها.»

توقفت أنفاسها وضاقت حدقتاها وقد ارتابت للأمر. «هذا مستحيل. لقد قيل لي إن النتيجة ستبلغني بواسطة البريد.»

«كل المتبارين الآخرين سيبلغون بواسطة البريد. اما الفائز الأول فيتسلَّم جائزته. ألا توافقينني الرأي؟»

أحست مادلين أن قواها قد بدأت تخونها وهي تحاول استيعاب النبأ وتتذكر القيمة المالية للجائزة الأولى. «أحقاً ربحت؟» همست وتضايقت من تهدج صوتها، لكنها لم تستطع التحكم بنبرته: «هل أنت متأكد؟»

«بالطبع. أنا جازم في ذلك.»

أومأت برأسها ببطء، وقد تخدرت أفكارها. فقد كانت تحلم بأحلام عادية جداً فيما مضى ولم يخطر ببالها فكرة أن يكون الياس شيبرد قد اصطفاها للمركز الأول، هذا

بإرسال أحدهم لتسليمها الجائزة في تلك الليلة.

تنبهت فجأة إلى أنه لا يزال واقفاً في الرواق، ففتحت الباب على مصراعيه. «أرجوك، تفضل.» قالت، وأشارت بيدها إلى بعض الأرائك والكراسي التي كانت محتشدة في إحدى زوايا غرفة الجلوس وقد بدت هزيلة في حجمها أمام البيانو الضخم الذي اقتصدت كثيراً كي تبتاعه: «تفضل بالجلوس، فقد كنت في صدد تحضير بعض القهوة [illegible]»

اختنقت العبارات في حنجرتها حين استدار فجأة لمواجهتها، فوقع نظرها عليه للمرة الأولى وقد غمره النور. وعلى الفور، على الرغم من أنها لم تلتقيه قبلاً أو تنظر إلى صورته، لقد عرفته. إنه الياس شيبرد. فما كان يختبئ في موسيقاه وجدته في وجهه، وقد أدهشتها سرعتها في التعرف عليه. فقد كانت متيمة بفكر الياس شيبرد وروحه اللذين كانا وراء موسيقاه خلال السنتين الماضيتين، إلا انها لم تكن لتتوقع أن ترتسم تلك الروح على وجه رجل.

«أنت الياس شيبرد.» تمتمت وهي تخشى، أن ترف عيناها فتزول الرؤية من أمامها.

حدق بها إلى ما بدا أنه زمن طويل، ثم هز برأسه. بدا في تقاطيع وجهه الداكنة، حزيناً مثل موسيقاه، بحاجبين كثيفين فوق عينيه الخضراوين الرائعتين وفم مشقوق وسط فكه المربع. إلا أنها أحست أن هناك شيئاً ما وراء تلك الصورة القاتمة ـ شيء نظيف وبراق وقاسٍ، جعلها تفكر بلمعان أشعة الشمس فوق المحيط.

www.liilas.com/vb3

دهشت حين تكلم وتساءلت كم مضى عليها وهي واقفة هناك، تحملق به في صمت. «ستبدو القهوة في أوانها. شكراً.»

«أنت على الرحب والسعة.» أجابت بصوت خال من التعبير إلا أنها بقيت ساكنة، عاجزة عن رفع نظرها عنه. وأخيراً أجبرت نفسها على الذهاب إلى المطبخ. تحضير القهوة الإيرلندية أمر سهل، قامت بتحضيرها مئات المرات قبل ذلك، إلا أن عملية تحضيرها تلك الليلة كانت معقدة، ومتجاوزة قدراتها.

عندما عادت إلى غرفة الطعام، وجدته جالساً على الأريكة، وهو يتابع بنظره اقترابها بارتباك حذر. وتلامست أناملهما للحظة وهو يتناول كوب القهوة من يدها. أما هي فغرقت في كرسيها مقابل الأريكة وقد أربكتها الحرارة التي سببتها ملامسته.

راحا يرشفان القهوة من كوبيهما حين قال: «لقد هزني أداؤك اليوم.»

اهتز رأسها لصوته المتماوج في بحة. تجنبت عينيه وركزت على شعره الأسود المرفوع وراء أذنيه والملفوف على مستوى ياقة القميص الأبيض الذي، تراه للمرة الأولى، حله عند العنق وأرخى ربطة العنق ليضعها جانباً.

«لم تشتركي في مباراة كهذه قبلاً، أليس كذلك؟»

«كلا.» بدأت تهز رأسها، ثم كان عليها تذكير نفسها بالتوقف. «وهل كان ذلك واضحاً؟»

«بالطبع لا.» قال وهو يحاول أن يبتسم: «أنا أتابع كل المباريات. ولكنت تذكرت عازفة مثلك.»

[illegible] مادلين رشفة أخرى من الشراب وشعرت بالدفء [illegible] حنجرتها. «أنا في الحقيقة مدرّسة بيانو ولست [illegible]

[illegible] هذه المرة ابتسامة خفيفة. «ولم يكن شكسبير [illegible] من كاتب.»

[illegible] لحنقيتها أن تتسعا بعد تلك المقارنة الصارخة [illegible] إذا عاد ليصدمها ثانية.

[illegible] سأستخدمك، يا آنسة شمبرز. أريدك أن تعملي [illegible] كاملاً في مشروع مهم، تعزفي موسيقاي، أو [illegible] تسجيلها، إذا اقتضى الأمر.»

[illegible] منتبهة. «حسناً.»

[illegible] أهذا كل ما عندك لتقوليه؟»

[illegible] مادلين وهي لا تدري ما تفعل، فيما انطلق [illegible] شفتها السفلى وهي تتساءل لِمَ ولها قد [illegible]

[illegible] تريدين أن تسألي عن الأجر؟ وشروط العمل؟ أي [illegible]

[illegible] برأسها غير مكترثة. وقالت: «إنك إلياس [illegible] كأن هذا كان يفسر كل شيء.»

[illegible] بهدوء للحظة. «ماذا تعرفين عني؟»

[illegible] همست، ثم قطبت جبينها وقد فقهت كم كان [illegible] ما تفوهت به. «لا شيء.» أردفت بارتباك.

[illegible] الجواب الصحيح؟»

[illegible] في كوبها وقد تغضن حاجباها الشاحبان، [illegible] على شفتيها وقد تملكها الرعب. ماذا تعرف عن

الياس شيبرد؟ فقد كان اطلاعها على موسيقاه خير [illegible] ألحانه الاستعراضية، وأغانيه الشعبية، وموسيقى الأفلا[م] التي كتبها على مدى العشر سنوات الماضية، لم تؤثر عليها. «إنني على اطلاع فقط بالموسيقى التي كتبتها خلا[ل] السنتين الأخيرتين. هذا كل شيء.»

«هذا كل شيء.» قال بهدوء. وشعرت في أعماقها بشيء يخفق بقوة.

«حسناً.» سمعته يقول بعد لحظة: «هذه القواعد الأساسية. سنعمل في روزوود، بيتي في الجبل. فهنا لن يزعجنا أحد.» حاولت الابتسامة أن تجد زوايا فمها [illegible] «عليك أن تتركي بيتك، ورفاقك، وأهلك، وتلامذتك، وحياتك الاجتماعية، كل حياتك، في الواقع، طالما العمل يدوم.»

أومأت برأسها بصمت، وهي تنظر إلى كوبها وتتساءل كيف بإمكانها احتواء كل هذه السعادة؟ وكيف لها أن تبقى جالسة وهي تتكلف الهدوء في حين أنها تريد القفز والصراخ و...

«سوف تكون الساعات رهيبة، فأنا عديم الصبر، حاد الطبع ويستحيل العمل معي...»

جازفت مادلين بنظرة إلى أعلى، إلى حيث مخرج صوته الخشن: «في الحقيقة، الشيء الوحيد اللائق في هذا العمل هو الأجر. أستطيع أن أعدك أنه سيكون ممتازاً.»

راحت مادلين تحدق في شرخ بارز في ورق الجدران خلفه وهي تبتسم لما كان يعتقده مهما من أمر الساعات وشروط العمل والأجر. كيف عليها أن تخبره؟ وكيف لها أن تفسر له أن موسيقاه هي أملها الوحيد في حياتها الرتيبة [illegible]

[illegible] بانتمائها إليه منذ اللحظة التي بدأت تعرف [illegible] موسيقاه؟ وما هجران حياتها من أجل اللحاق به سوى [illegible] الشكلي للإلتزام المعنوي والروحي الذي كانت قد [illegible] على نفسها منذ زمن طويل.

[illegible] أخيراً بهدوء وهي تحاول التحكم بعينيها: «لقد [illegible] علي عملاً، وأنا قبلت به. فهل أنت تتراجع عن [illegible]

[illegible] يدرس وجهها وكأنه يفتش عن علامة وهن [illegible] قال أخيراً: «فلا يزال العرض قائماً. لست هازلاً.» [illegible] أومأت برأسها بحزم ولسبب ما أحبطت ثقتها [illegible]

[illegible] حدقتاه الخضراوان تضيقان قليلاً وقال محذراً: [illegible] في مجال اللهو، يا آنسة شبيرد. موسيقاي هي [illegible] الذي يهمني. ليس لدي الوقت أو الرغبة في [illegible] عواطف النساء. في الحقيقة، لا أطيق صبراً على [illegible] مهن. والعمل معي هو الاقتراح الوحيد الذي لدي.»

[illegible] مادلين إليه بهدوء وهي تحاول أن لا تبتسم. [illegible] يا سيد شيبرد، لقد ربحت. كم تريد لقاء عملك؟ أنا [illegible]

[illegible] في ضحكات خرقاء ناشزة حتى كادت أن [illegible] لو أنها كانت ضحك قبل ذلك، ثم قال وخيال [illegible] لا يزال مرتسماً على زوايا ثغره: «حسناً، يا آنسة [illegible] وضبي أغراضك، لمغادرة المدينة لفترة من [illegible]

[illegible] من الوقت؟»

www.liilas.com/vb3

«هذا يتوقف على أمور كثيرة. قد يكون لشهر...» تو
لحظة وهو يبحث في وجهها عن تعبير غريب: «أو لأكثر
نظرت إليه من دون أن تتفوه بشيء وقطّب جبينه
لاحظ شيئاً على وجهها.

«أعتقد اننا سننجح بالعمل معاً، يا آنسة شيـ
وانحنى قليلاً إلى الأمام، أمسك بإحدى يديها ووضعها
يديه وشرع يقلبها ضمن راحتيه وهو يتفرس فيها بإ
وكأنها قطعة ثمينة بين يديه. وكانت ملامسته لها متجر
فقد كان في صدد تفحص الآلة التي ستنجز موسيقاه
هي، ربما لذلك السبب، لم تمتعض كما كانت تفعل
ملامسة أحد ما لها.

«أعطني يدك الأخرى.» أمرها من دون أن يرفع نظر
وضعت فنجانها على طاولة قريبة منها ومدت له
الأخرى صاغرة. أمسك بهما بين راحتيه وبسط أنامله
أناملها لتبسط أناملها هي أيضاً. كانت بين يدي طبيب يق
على فحصها، وراحت تراقبه وهي غافلة وكأنها قد سلخ
عن تلك الأجزاء من جسمها التي كان قد لمسها.

وسألها فجأة: «ما هو مدى أصابعك؟»

«عشرة مفاتيح.» مطت أناملها على وسعها فوق راح
لتبيان ذلك، وفجأة، من دون أي إنذار، حدث شيء.

شعرت بأطراف أناملها وكأنها تحترق وهي تر
خطوطاً من اللهب على طول راحتيه الدقيقتين. و
واضحاً أن الشعور عينه قد انتابه، إذ جحظت عيناه و
أثقلتهما الدهشة تماماً كما فعلت عيناها، وانسحب
سرعة خاطفة متنفساً بصوت مسموع.

في مكانها عاجزة عن الإتيان بأية حركة
بالإشارات العجيبة التي كانت تتسابق طرداً
يديها إلى دماغها، إضافة إلى طبيعة نظرته
وراحت حدقتاه تتسعان حتى كاد اللون
يزول تاركاً مكانه لوناً أسود على شكل دائرة.
كل ذلك.

من قبضته بخوف ظاهر وعيناها متسعتان

عيونهما معلقة في نظرة طويلة، وأخيراً أغمض
ويحول برأسه بعيداً عنها ورفع منكبيه إلى أعلى
لم يحدث، وفي حال حدث، فهذا غير ذي بال.
جاهزة في العاشرة من صباح غد.» قال
ووقف عند الباب، تقريباً قبل أن تنتبه لحركته.
ثم نعمل على التفاصيل.»
يهم بولوج الرواق، استدار وحدق إليها وهي ما
حيث تركها. أما ملامحه فكانت قاتمة وواعدة
توجه إليها إتهاماً خطيراً.

أعتقد اني سمعت عزف موسيقاي حقيقةً إلا يوم
تعزفينها.» قال وفي نبرته إشارات وعيد: «لن
آخر أن يتعارض مع ذلك.»

فقد بقيت لفترة طويلة بعد مغادرته وهي
في كرسيها، تحملق في يديها.

www.liilas.com/vb3

الفصل الثاني

استيقظت مادلين في صباح اليوم التالي [illegible] غمرتها مسحة من الحزن. وأجفلت لدى [illegible] ضوضاء السيارات في الشارع، ونظرت شزراً إلى [illegible] الصباح الغريب في إشعاعه وهو يدخل من [illegible] النافذة. على الرغم من خفة وزن الدثار، شعرت به [illegible] لا يحتمل فوق جسمها. فبدأت بإزاحته جانباً، ثم توقفت [illegible] وقد تجهمت أساريرها وهي لا تزال مستلقية [illegible] فراشها، تحاول أن تتذكر متى انتابها هذا الشعور [illegible] اليوم. علها تقبض على تلك الذكرى [illegible] في [illegible].

لقد كان ذلك منذ زمن بعيد... لقد علمت ذلك... جيداً [illegible] أنها لم تستطع أن تتذكر أوان حدوثه. فقد كان أشبه بشعور [illegible] طفل صباح عيد الميلاد، إلا أنه لم يكن الميلاد. مهما يكن [illegible] فقد كان أمراً أكبر من ذلك وأكثر منه وعداً.

قطبت جبينها، وهي تستجمع ما انقضى من ذكرى [illegible] أنها عافت كل ذلك لتستسلم للنسيان. فهي ستعمل من [illegible] فصاعداً مع الياس شيرد، وستعزف موسيقاه وستسكن [illegible] في بيته، وستشهد معجزة خلقه الموسيقي. وقد كان [illegible] التبصر في كل ذلك جل ما تستطيع فعله.

إرتداؤها الثياب السوداء لم يكن متعمداً، ولكنها أومأت برأسها علامة الرضى وهي تتفحص انعكاس صورتها [illegible]

[illegible] ارتدت ملابسها، إنه يوماً أساسياً في حياتها، [illegible] أن يعكس مظهرها الخارجي احتفالية [illegible]

[illegible] ارتدت بنطال جينز ضيقاً، وقميصاً من [illegible] يصل إلى أعلى رقبتها في تحدٍ منها لبرد فصل [illegible] اقترب حلوله. فهي لم يكن عندها ما يناسب من [illegible] في بيت جبلي، إلا ما يجب عليها ارتداؤه [illegible] الموحلة والحقول المليئة بالأشواك، والتي [illegible] في الصور وقرأت عنها في الكتب. فقط [illegible] الصورة الرزينة. رفض البقاء على شكل هامة [illegible] حول كتفها في خصلات ساكنة براقة وبدا [illegible]. وكعادتها في كل مرة، تناست مادلين كل [illegible] ما الخارجي في اللحظة التي تحولت فيها عن [illegible]

[illegible] الساعة العاشرة فتحت الباب لدى سماعها طرقة [illegible] الحازمة، فابتسمت بارتباك. لقد كان مختلفاً تماماً [illegible] عليه في الليلة الماضية.

[illegible] ارتدى معطفاً خفيفاً فوق كنزة من الصوف بلون [illegible] الداكن، مصنوعة من وبر الأرنب، أو من صوف [illegible] أو غيرها من الحياكات الثمينة التي تجعل المرء [illegible] لبسها، وقد أسبغ هذا اللون على وجهه حالة [illegible] أخفت حزنه الذي بدا عليه في الليلة الماضية. أما شعره فبدا صبيانياً، وقد ردته ريح [illegible] رعناء إلى الوراء، في حركة مفاجئة، كموجة [illegible] متماوجة فوق جبينه، فالتف حول أذنيه هازئاً

بما كان عليه في الأمس بتصفيفته الر... المردودة إلى الخلف.

«تبدو مختلفاً.» بادرته بنبرة حادة.

«وأنتِ أيضاً. تبدين رائعة في الأسود.» كانت ملا... محض شخصية، لم تستعد لها. ولم تكن مستعدة لنظر... الثاقبة وتأثيرها عليها. فقد كان ذلك يشبه إلى حد بعيد... اللحظة الغريبة في الليلة الفائتة حين تحولت ... بينهما، من منطقة الأمان الروحي إلى منطقة الخطر ... المألوف للجسد. وهذا ما يفسر ردة فعلها العنيفة حين ... يده إليها قائلاً: «هل تذهب؟»

كان سؤالاً بريئاً، لم يخدشها في مضمونه، إلا أ... شعرت على الفور بطعنة من الشعور الذي لازمها ... طفولتها، شعور أملت أن لا تختبره مجدداً، لأنه كان يح... في طياته احتمال خيبة أمل.

حملقت بحزن في يديه الممدودتين وهي تتذكر ... اليدين اللتين امتدتا إليها في الماضي من أمثال الاندر... والكروغرز والميلرز وغيرهم من الأوصياء المؤقت... الذين جاءوا بها إلى بيوت هي أيضاً مؤقتة. «هل تذهب... مادلين؟» كانوا يسألونها جميعاً ويأخذون بيدها ويملأ... قلبها أملاً في أن بيتهم سيكون مقرها الدائم وفي أن ح... لها هو الأبقى على الدوام، إلا أن ذلك لم يكن ليحصل، لأ... شيء يدوم إلى النهاية.

«مادلين؟» كان يمعن نظره في وجهها وقد تغض... جبينه. «هل من خطب؟ هل غيرت رأيك؟»

تنهدت مادلين بعمق وأجبرت نفسها على ابتسا...

...ت أناملها إلى راحة يده. «لا.» قالت بهدوء ...

...

...ت متأكدة، أنك جاهزة؟»

...ستعدة.» قالت بحزم، فيما كانت تتساءل إذا كان ذلك ... سؤال قد طرح عليها في حياتها أو بدا لها كذلك.

... الياس السيارة بصمت إلى عنوان في الايست سفنتيز ... الأحياء العصرية ذات الأرصفة المرصوفة ... المرممة من الحجر الرملي الأسمر والقرميد ... وهي مختلفة عن زحمة مانهاتن المجنونة، مثل بعد ... بين المكانين.

...ت مادلين من السيارة فيما الياس يحاول ... قائلاً: «هذه هي الوقفة الأولى. هناك شخص ... أن تتعرفي عليه قبل أن نتابع سيرنا إلى روزوود.» ... النسيم بشعره مضيفاً عليه شكل شاب هازل فيما ... الموصل، إلا أن ذلك لم يكن إلا مجرد ... من نسج الخيال. فلا شيء كان يدل على ذلك على كل ... وجهه، وهو يدق على الباب بالمطرقة النحاسية ...وعة من الحجر الرملي. كما أن لا شيء من طيش ... في عينيه الخضراوين واللتين كانتا تثنيان ... بصمت وهما منتظران في الردهة.

... الباب رجل، مثل آلاف الرجال، فكرت مادلين، ومع ... شعرت بأن الباب قد فتح على منظر خلاب لإشراقة ... يصعب التحديق إليها.

... نظرات الرجل بنظراتها، فتوردت وجنتاها ... ولم تستطع تفسير ما حصل، وغمغم من دون أن

www.liilas.com/vb3

يحول بصره عنها ولو للحظة: «مرحباً، اليا[illegible]
رد الياس بغمغمة مبهمة، فيما ظلت مادلين محملقة [illegible]
الرجل الواقف في الرواق. كل شيء فيه كان يبعث [illegible]
الاطمئنان، شعره ذو الخصلات البنية فوق عينين مرح[illegible]
ضاحكتين. ابتسامة طبيعية تقول بأن الشفاه خ[illegible]
للابتسام ليس إلا. على الرغم من انزعاجها، قد[illegible]
مادلين على ابتسامته بمثلها، غير قادرة على أن تفع[illegible]
شيء آخر. لقد ملأ شغاف قلبها قبل أن ينبس ببنت شف[illegible]

أدهشها كيف كان ممسكاً بيديها الاثنتين وهو [illegible]
عليهما برقة. «أنت ساحرة، يا مادلين. يا ألهي، يا اليا[illegible]
شعر ملائكي وملامح سحرية. إنها رائعة!»

أما هي فلم تدر أتضحك أم تعبس لإطرائه المستفيض [illegible]
«لا تكن سخيفاً، يا دافيد. إنها عازفة بيانو، لا عا[illegible]
أزياء. وما هو رائع فيها، كامن في يديها. ألقِ نظر[illegible]
عليهما. فلديها إبداع عظيم.»

بقيت يداها مغلولتين بشدة في يديه. وابتسمت بارتبا[illegible]
فيما كان يأخذها برفق إلى الداخل ويغلق الباب خلفه.

«والله، يا الياس، أحياناً أعتقد أنك مت منذ زمن ول[illegible]
تدفن. امرأة كهذه، وتريد مني أن أنظر إلى يديها!»

رقت عيناها وهي تحدق به وقد ادهشها ما كان يتفوه [illegible]
فقد كانت كاللعبة المطواعة المتخدرة، الفاقدة لحسها
عندما أخذ بيدها المطوية عند المرفق باستئثار ظاهر،
وقادها إلى غرفة الجلوس المفروشة بفخامة حيث يوجد
كرسيان مزدوجان متقابلان في مواجهة موقد للنار.
شاهدت على الطاولة المنخفضة بينهما، فنجانين للقهوة

[illegible] وضع عليها حلوى صنع هولندا. قادها
[illegible] وعلى الرغم مما كان يثيره التقارب
[illegible] انزعاج إلا أنها شعرت بالارتياح بالقرب منه.

[illegible] بتقديم دافيد لها: «مادلين شمبرز، أقدم لكِ
[illegible] سميري.»

[illegible] الدافيء والودود لتلك الشراكة.» أضاف
[illegible] من التوازن أمام هذا العبقري الشرير، إذا
[illegible]

[illegible] في وجهه. «حدثها عن المشروع، يا دافيد.
[illegible] أحضرتها إلى هنا.» سكب لنفسه فنجاناً من
[illegible] ثم وقف فجأة. «سأقوم ببعض الاتصالات الهاتفية
[illegible] إلى روزوود.»

[illegible] دافيد حتى غادر الغرفة ثم انشغل بسكب القهوة.
[illegible] فنجاناً، وهو يستدير نصف استدارة، منثنياً
[illegible] ضحكة غريبة: «يا إلهي، تعزفين على البيانو،
[illegible]

[illegible] جبينها وهي تنظر إليه من فوق حافة فنجانها،
[illegible] سؤاله. فما كان منه إلا أن ضحك لسبب ما.
[illegible] واحدة من مليون، أليس كذلك؟ أشعر وكأنني أمام
[illegible] يدي ذئب شرير. العمل مع الياس لن يكون سهلاً
[illegible] تعلمين.»

[illegible] ما قاله لي.»

[illegible] هي الحقيقة بعينها. لقد أصبح ناسكاً حقيقياً
[illegible] السنتين الماضيتين، وإن كان قد تعلم قليلاً كيف
[illegible] مع الناس، فإنه الآن نسي ذلك من دون شك.

فالموسيقى هي كل ما يهمه في هذه الحياة [illegible]

«أعلم ذلك.»

تجهم وجه دافيد وهو يتململ في كرسيه مغيراً [illegible] «الغرابة في الموضوع هو موافقتك للعمل معه [illegible] السرعة... لست مغرمة به أو شيء من هذا القبيل [illegible] كذلك؟»

اتسعت حدقتاها وكادت أن تختنق وهي ترشف [illegible] «يا إلهي، لا. فنحن ما كدنا نلتقي. أنا فقط.. أنا فقط [illegible] عشاق موسيقاه، ليس إلا.»

نظر دافيد إليها بإمعان. «إن الياس نسخة [illegible] موسيقاه.»

عضت على شفتيها بتوتر، وهي حائرة فيما تقول [illegible] حاول أن يبتسم، ثم غير الموضوع فجاة: «مهنتك [illegible] على مشروعه هذا، كما تعلمين. ونوعاً ما، عليك أيضاً [illegible]

«عليّ؟» همست مادلين: «ماذا تعني؟»

شرب دافيد ما تبقى في فنجانه وكأنها جرعة [illegible] وأعاد الفنجان إلى الطبق. شعرت مادلين كيف كان [illegible] كل كلمة بتؤدة قبل أن يتكلم: «لقد مر وقت لم يستطع [illegible] أن يؤلف، ليلبي كل الطلبات المنهمرة عليه. كل [illegible] الموسيقية كانت تريد أن تسجل له، وما من منتج [illegible] وكان يريد شراء اسطواناته...» تنهد وارخى كتفيه. [illegible] ثم بعد ذلك بسنتين تغير كل شيء. المشكلة تكمن في [illegible] لا يفقه السبب. لا يستطيع أن يتبين الفرق بين ما تعود [illegible] يكتبه من الحان أحبها الجمهور، وبين ما يكتبه الآن [illegible] اعتقد بأن عازف البيانو الكلاسيكي عليه أن يتلون [illegible]

[illegible] ولهذا السبب قام بتكفل المباراة.»

[illegible] مادلين شاردة، تفكر كيف أنها بدأت تعشق [illegible] الآخرون أخذوا يكرهونها. «وماذا حصل بعد [illegible]» سألت.

[illegible] إليها دافيد لبرهة ثم قال بصوت منخفض: «لقد [illegible]»

[illegible] الكلمات مادلين تفكر لبرهة. فلم يطرأ على [illegible] يكون مبدع الموسيقى والذي أحبته كإنسان [illegible] في الحقيقة إنسان كباقي البشر.

[illegible] لم أكن أعلم أنه كان متزوجاً.»

[illegible]... لوقت ما. وبانتهاء الزواج انتهت أشياء [illegible] له، تغيرت موسيقاه، تغيرت حياته...» أبعد [illegible] وأجبر نفسه على الابتسام بطريقة مشرقة: «إلا [illegible] جزءاً من الماضي، ويفترض بنا أن نتكلم [illegible] الآن.» أعاد سكب القهوة في كوبيهما واستدار [illegible] المزدوج ليواجهها. «ستعملين على اسطوانة [illegible] الأفلام. فالمنتج صديق قديم لالياس، والحقيقة [illegible] مخاطرة كبيرة في إعطاء الياس هذا العقد. [illegible] الاعتبار النمط الموسيقي الذي بات الياس يكتبه [illegible] فالجميع أضحى في كره له.»

[illegible] فلا. أليس كذلك؟»

[illegible] بكتفيه وحول نظره بعيداً بحركة خرقاء. [illegible] ليس غالباً. لكن أحياناً... أستمع إلى ما يكتبه [illegible] له القدرة على أن يكون من الموسيقيين العظام. [illegible]» رمقها منتظراً جواباً.

www.liilas.com/vb3

«إنه واحد منهم، على ما أعتقد.» قالت بهدوء.

إرتفع حاجباه قليلاً مما أضفى عليه منظراً

سرعان ما زال. «من الوجهة التجارية، عليك أن

جيدة التسويق كي تصبحي عظيمة.»

«أعتقد أن في ذلك نوعاً من الجشع. وماذا بشأن

من *أجل الفن*؟»

هز بكتفيه مستنكراً: «عندما يروق الفن للجميع،

يلامس كل قلب، فتلك هي العظمة، أليس كذلك؟ وهذا ما

الياس في موسيقاه... هذا الشيء المحيّر الذي

شعور الناس. فلا أحد ينكر براعته التقنية في العمل.

العديد من الناس يعتقدون أنه من دون قلب، من دون

على الإطلاق.»

ابتسمت مادلين بحزن. «إذاً فهم لا يستمعون إليه

شعرت كم كان دافيد آسف لها، برغم أنها لم تستطع

السبب.

دخل الياس عليهما ونظر إلى دافيد ثم إلى مادلين

اتصلت بالاستديو وأفدتهم بانه سيكون لديهم نموذج

الشريطفي مهلة شهر، مما يعني أن علينا أن نعمل من دون

تضييع ثانية. يا مادلين. تناولي قطعة حلوى وسنذهب

السيارة في طريقنا إلى روزوود. وسنتكلم في سائر

بعد أن تطلعي على المكان. هل تأتي معنا، يا دافيد؟»

«ليس الآن.» هز دافيد برأسه وهو ينظر إليها بابتسامة

خفيفة غير مقروءة على شفتيه. وعندما أدار الياس

متوجهاً إلى الباب، دس دافيد في يدها بطاقته الشخصية

وقال ببساطة: «اتصلي بي كلما احتجت لصديق.»

الفصل الثالث

الياس منهمكاً في قيادة سيارته وسط زحمة

صبيحة نهار الأحد، أخذت مادلين تنظر إليه

في سيارته الفخمة. هذا هو الياس

مراراً، أحد كبار مؤلفي الموسيقى

على الرغم من النقاد، وإنك جالسة الآن إلى

له أن يصبح أسطورة.

تلاقي عناء كبيراً في تخيله أسطورة. فهو

الأساطير، وهو جالس خلف المقود يركز

الطريق أمامه مثل بقية السائقين العاديين،

لحم ودم كسائر الأحياء من بني البشر. وكانت

بإحباط وهي تدغدغ هذه الفكرة.

في وقت قريب.» قال منبهاً ولم يتجاوزا

في ذلك. فأنا لا أبرمج مواعيد جديدة لتلامذتي

الأسبوع.»

مشاريع هذا المساء؟»

وقالت: «لم يكن لدي متسع من الوقت

يمليه الواجب الاجتماعي.» أردفت بعد تردد

أنه ليس لديّ موهبة كبيرة في ذلك.»

وهو يبتسم ابتسامة خفيفة، وسرعان ما

بينهما فيما أخذت السيارة تنهب الأرض

على الطريق العريضة التي تربط كل المراكز [illegible]
على خارطة ولاية نيويورك. غابت أخيراً وراءهما [illegible]
نقاط حدود المدينة وبدأت الطريق تنعطف يمنى ويسرى [illegible]
بزوايا منفرجة، باتجاه قمم الجبال المستديرة، [illegible]
في قدمها والتي لا يمكن مشاهدتها بسبب بعدها.

استغرقت مابلين في مشاهدة الطبيعة من خلال نافذة [illegible]
وقد أخذ يتجاسر قلبها مشهد الريف وهو يعانق الربيع [illegible]
شتاء طويل قاسٍ. وكانت قطعان الماشية تثب [illegible]
في مراعيها الجديدة، وفاضت الجداول بمياه [illegible]
المتدفقة في الأخاديد التي حفرتها، أما هدهدة الأوراق [illegible]
الخضراء فقد كانت توحي للمشاهد بأن كل شجرة [illegible]
تتمخض استعداداً لولادة ثانية.

كان المنظر لمن سكن الأبنية الحجرية في المدينة [illegible]
بسجادة سحرية من عالم الجن، مزدانة بالرسوم والصور [illegible]
لكن بالنسبة لمابلين، فقد كانت الموسيقى معيارها [illegible]
حتى أنها كانت أن تنسى كيف تقدر الأشياء الأخرى [illegible]
قدرها.

بعد مضي ساعة تقريباً، استهل الياس حديثه الذي كان [illegible]
انقطع بينهما منذ مغادرتهما المدينة. «نحن على [illegible]
تصل.» قال فيما راحت السيارة تخفف من سرعتها [illegible]
مخرجاً في موازاة الطريق السريع.

«حقاً؟» رفّت عيناها كمن يستيقظ من شبه حلم. فقد كانت [illegible]
شاردة لمسافة أميال وهي تحدق في مكان ما من [illegible]
القيادة أمامها وهي تدندن إحدى مقطوعاته في ذهنها [illegible]
أطلت برأسها من نافذة السيارة وراحت تتأمل [illegible]

[illegible] الذي كانت السيارة تنهبه نهباً ونظرت شزراً
[illegible] من أزهار الربيع في صفرتها الصارخة
[illegible] على جانبي الاسفلت.

[illegible] الياس بنظرة، فيما كانت السيارة ترتقي صعوداً
[illegible] المرتفعات ثم تنحدر إلى قرية بدت في منظرها أقرب
[illegible] الصورة الفوتوغرافية منها إلى الواقع المرئي. «إنها
[illegible] سكوايز.» قال لها، شارحاً فيما راحت السيارة
[illegible] سرعتها وصوت عجلاتها الواهن يتبه إلى
[illegible] عن طريق الاسفلت إلى آخر من الحجارة
[illegible] مبيتي على بعد كيلومتر في الجهة الأخرى
[illegible]

[illegible] مابلين رأسها بصمت وعيناها مأخوذتان بروعة
[illegible] القديمة وبمظلاتها الملونة الممتدة على طول
[illegible] وإلى أعمدة الإنارة المصفحة بالحديد
[illegible] تعيد إلى الذهن قرناً من الزمن مضى. فيما كانت
[illegible] التوليب البري تفترش مساحة كبيرة من مرج
[illegible]

[illegible] مابلين، وهي تستشيط، لا شك في أن كلمة خانق قد
[illegible] لأماكن كهذه، ثم استدارت لتشاهد من خلال النافذة
[illegible] السيارة، الضيعة وهي تنسحب وراءها. «إنه
[illegible] جميل حقاً.» قالت: «لقد بدأت أفهم لماذا تعيش هنا.»
[illegible] هنا لأن هذا يناسبني.» أجابها بنبرة باردة جعلت
[illegible] تتساءل ما إذا كانت قد أخطأت بما قد تفوهت به.
[illegible] مقود سيارته بخفة ومضى في طريق خاصة
[illegible] مصفوف على جانبيها، شجيرات متشابكة أخذت

تورق حديثاً. «هذه روزوود. سترين بيتي بعد ...
لم آت إلى بيت يحمل اسماً قبل الآن.»

تقلصت عضلات فكه لبرهة، عادت بعدها للاسترخاء ...
تكوّني فكرة خاطئة. فهذا البيت ليس قصراً. أمي ...
مولعة بالأسماء، هذا كل شيء. وقد أعطت اسماً لكل ...
كانت تملكه، بما في ذلك هذا المكان، وقد بقي الإسم ...
له بعد موتها.»

«هل كان هذا المكان ملكاً لوالديك؟»

«لوالدتي.» قال مصححاً ومشدداً على تكر المفرد ...
انفصلا بعد ولادتي بوقت قصير، ولم تتزوج أمي بعد ...

عندما انعطفت السيارة على أحد المنعرجات ...
توصلهما إلى البيت مباشرة، استرخت مادلين واتكأت ...
النافذة والتصق أنفها على الزجاج. قد تتذكر هذه ...
فيما بعد، وستكون شاكرة لأن وجهها قد تحول عنه ...
شعرت بأن قناعها الدفاعي يسقط عن وجهها ليحل ...
شوق الطفلة التي كانت هي في يوم من الأيام، ودهشة ...
الطفلة نفسها المثيرة للشفقة، عندما تكتشف أنه في ...
الأحيان تصبح الأوهام حقيقة.

البيت، رسمت على شفتيها تلك الكلمة الغريبة ...
بصمت، فيما لهاثها قد صيّر الزجاج أمامها ...
وجعلت ترمق القرميد الأحمر والمظلات ذات اللون الأ...
الباهت، لذلك البيت الذي كان أشبه بكعكة الزنجبيل ...
ذلك تجسيداً لحلم ظنت أنها نسيته، وهو حلم من ...
بعيدة جداً، وقبل أن تعلمها الحياة كيف تحلم.

كان الصمت، في ما خلا قرقعة محرك السيارة و...

... السيارة بينما راح الياس يتفحص وجهها وهي
... خلال النافذة إلى البيت، وقد بدت صورتها
... ارتياحاً وانفتاحاً، كأنها تظهر للبيت جانباً
... لكن تسمح لعامة البشر برؤيته. وانتفض حاجبا
...

... ترعرت في هذا المكان.» قال بهدوء
... «عظيم.» وأدهشتها نبرة صوتها بما كانت
... ثناياها من عاطفة جياشة.

... بينما كان يحدق إلى كتلة متشابكة من الشجيرات
... أمام شرفة المنزل: «لقد كان كذلك في ما مضى.»
... وهو يرفع مسكة الباب: «هيا بنا نقوم بجولة في
...

... مادلين تفكر بأن دخولها هذا المكان بالذات وهي
... أشبه بدنوها من شباك التذاكر حين تكون آخر
... قد بيعت. لقد تدبرت أمرك جيداً! لكن بعد فوات
... لو كان عندها بيت كهذا يأويها وهي طفلة لكانت
... مختلفة عما هي عليه الآن، ولما كان العالم مدرسة
... ... رحم ودروسها قاسية مستعصية. إلا أن كل نحلات
... ... تفقت في حزيران كما كانت إحدى أمهاتها
... تردد على مسمعها.

... كانت تمشي خلفه في أرجاء البيت كانت أفكارها
... ... أن الأوان قد فات. وارتسم على وجهها خيال
... مهذبة ولكن باردة. وكانت يدها تمتد، بين الفينة
... ... وعن غير قصد منها لتلمس الجدار، لتطال قبضة
... البورسلين المصنوعة من قبل مولدها بعشرات السنين.

وخلال هذه الهنيهات من ملامستها الجسدية لتلك [illegible]
كم كان كل شيء رائعاً فيما مضى، وكم كان حزيناً [illegible]
عليه اليوم.

كانت معظم غرف الطابق الأرضي من المنزل [illegible]
ودافئة ومزدحمة بأثاث قديم، عتيق الطراز. وأعمال [illegible]
صنع أمه تملأ المكان وأحست فجأة بعامل الغيرة [illegible]
من طفولته ومن الدفء والحب اللذين يحوز عليهما [illegible]
ينمو في بيت كهذا، وحتى ولو كان فاقداً لأبيه [illegible]
بلمسة الأم في كل غرفة وكأنها لا تزال حية ترزق [illegible]
الترحيب بها واستقبالها...

أزاحت عنها فجأة وبحركة متوترة تلك الفكرة [illegible]
التي كانت تراودها، وهي مغتاظة كونها تدعو [illegible]
صبيانية كهذه. وتوقفت عن التفكير وهي تحاول [illegible]
في الرواق الذي كان يقسم البيت إلى قسمين [illegible]
المدخل الأمامي مروراً بالسلالم وصعوداً إلى [illegible]
الثاني وانتهاءً بباب متمايل مصمم على الطراز [illegible]
«المطبخ.» أعلن الياس بشكل غير ضروري وتحر[illegible]
ليدعها تدخل إلا أنها جمدت في مكانها بعد أن [illegible]
خطوات قليلة في داخله. سألها وهو واقف خلفها [illegible]
خطب ما؟»

هل من خطب؟ ترددت كلماته في ذهنها. كلا بالطبع [illegible]
إلا إذا كان في نيتك أن تبكي من دون سبب وجيه [illegible]
تدفني رأسك بين يديك وتنتحبي حتى يأتي أحد [illegible]
يحبونك فيضع يده على كتفك ويهدىء من روعك [illegible]
يكون هناك شخص من هذا القبيل في مطبخ كهذا [illegible]

[illegible] من أن الفتيات الصغيرات لا يبكين بمفردهن.
[illegible] ـارها بهو تحتشد فيه الخزانات القديمة من
[illegible] فيما كان الموقد المصفح بالحديد يحتل
[illegible] قبالتها وبدا باب الفرن الضخم كفم مقفلاً على
[illegible] الخبز والكعك والحلوى التي كانت تملأ جوفه فيما
[illegible] كان هناك طاولة خشبية مستديرة تجمع حولها
[illegible] متناسقة الألوان، طويلة كالسلالم، حشدت كلها داخل
[illegible] قد حضنتها نافذة ناتئة. كل زاوية من زوايا
[illegible] تحمل ذكريات من تلك المرأة التي جعلت من هذا
[illegible] كتلك الآنية الفخارية الموضوعة على حافة
[illegible] التي كانت تحوي فيما مضى نباتات ذكية الرائحة
[illegible] وتلك المطرزات التي كانت تتدلى من الجدران
[illegible] كانت إحداها تقرأ: «الطبخ هو الحب.»
[illegible] كان صوته ينم عن القلق وهو يردد: «هل من
[illegible]
[illegible] رأسها ببطء لتنظر إليه وقد أعادت قناعها إلى
[illegible] فيما كانت إمارتها باردة. «لا، بالطبع لا.»
[illegible] لمحت طبقة من الغبار تغطي كل شيء،
[illegible] توحي بأن البيت خاوٍ. أدركت أن لا أحد أقام
[illegible] زمن طويل وإذا كان المطبخ يوحي بشيء
[illegible] كان ذلك مجرد وهم.
[illegible] يسكن أحد هذا المنزل لسنوات.» قال الياس، كأنه
[illegible] مر قربها ليقف عند المجلى وعيناه
[illegible] على نقطة بعيدة خارج زجاج نافذة المطبخ
[illegible] لونه.

www.liilas.com/vb3

«كنت أخالك تعيش هنا.»

هز رأسه فجأة مما جعل شعره يسترسل إلى [illegible]

«ليس هنا. سأريك أين.»

لحقت به إلى الخارج عبر باب خلفي واستقبلهـ [illegible] من الحجر القرميدي قاد خطواتهما في رحلة [illegible] الفناء الخلفي حيث شاهدت بقايا مئات الورود [illegible] منذ زمن بعيد.

«هل ماتت؟» سألت وهي تشعر بالأسى عليها [illegible] تشرئب من خلال كومة الأوراق والأعشاب اليابسة [illegible]

«لا أدري.» قال بفظاظة وهو يحث الخطى [illegible] مات، والبعض الآخر لا.»

انعطف الممر بزاوية حادة إلى اليمين مارّاً بأرض [illegible] من الأشجار باستثناء مجموعة من أشجار الصنوبر [illegible] ثم انعطف ثانية خلف العشب البري الذي يغطي [illegible] المترامية الأطراف. وعلى بعد لا يتجاوز العشرين [illegible] بانت بناية بيضاء الشكل أكبر مساحة من البيت [illegible] تشرئب من الأرض.

«هذا هو مسكني.» قال وهو يخرج مفتاحاً من [illegible] ليفتح به الباب الأمامي: «لقد بنيته منذ سنوات عدة [illegible]

شعرت مادلين بمتانة السجاد تحت قدميها فيما [illegible] تخطو بضع خطوات في المدى الرحب للمكان وهي [illegible] متمهلة. كان البناء خالياً من الجدران الداخلية ومن [illegible] والنوافذ. لا شيء من شأنه أن يلهي الفكر أو يشده [illegible]

شاهدت بيانو ضخماً موضوعاً على منصة عا[illegible] وسط البهو المفتوح. لاحقت نظراتها البيانو بشر[illegible]

[illegible] ثم تحول نظرها إلى الأنبوب الفخاري الرمادي [illegible] الجدران والعوارض الخشبية المتاعدة إلى [illegible] التي كانت تؤلف غرفة للصوت المرتفع من أدنى، [illegible] وقد لتتابتها رغبة جامحة في أن تسرع [illegible] وتبدأ بالعزف، لتأليف الموسيقى في مكان معد [illegible] فقط كان الياس واقفاً وراءها يراقب يديها [illegible] موضوعتان على جانبيها وابتسم ابتسامة باردة.

[illegible] همست مادلين، وقد شعرت بأن نبرة صوتها [illegible] فجأة.

[illegible] أيضاً.» قادها إلى الجدار البعيد حيث أزاح عنه [illegible] العارضة السميكة التي كانت تغطي الباب. دخلت [illegible] إلى غرفة طويلة ضيقة تمتد على طول المبنى. كان [illegible] فيها مكتب عليه شمعدان وسرير وخزانه وبعض [illegible]

[illegible] رأسه وهو يشير إلى باب في الجهة الأخرى [illegible] يوجد مطبخ صغير هناك.» هز رأسه وهو يشير إلى [illegible] الجهة الأخرى: «وحمام، طبعاً. كل ما أحتاج إليه.» [illegible] فلم تكن ممتعة وهو يتكلفها.

[illegible] من الغرفة الصغيرة وقد ضاقت ذرعاً فجأة [illegible]: «ألا تستعمل البيت أبداً؟»

[illegible] الياس الباب وعلت شفتيه ابتسامة صفراء: «كلا. [illegible] البيت بيتك، ما دمت تعملين معي.» مشى إلى حيث [illegible] دون أن يلاحظ كيف تسمّرت مادلين في مكانها [illegible] قاها.

[illegible] تفكر وهي ترتجف، البيت سيكون بيتها. ليس

www.liilas.com/vb3

إلى الأبد، ولكن لفترة من الوقت. البيت سيكون ...
«مادلين؟»

رفّت بعينيها وراحت تنظر إليه، متكئاً على ...
وعيناه مركزتان على عينيها عبر المسافة التي كانت ...
بينهما. «تعالي واعزفي لي.» قال بهدوء، ومن ...
تحذير. شعرت مادلين بقلبها يخفق بسرعة.

أخذت تنظر إليه عبر الغرفة وقد بدا أكثر ...
عرضاً، أشبه بالعملاق، وكان ارتفاع المنصة أو ...
عبر المسافة التي كانت تفصل بينهما قد جعله ...
وشعرت فجأة بالخوف. اقترب منها وقد أيقظ من ...
ردات فعل عاطفية، قديمة، أرعبتها حقاً.

مشت نحو المنصة وقد فارقتها الأحاسيس ...
جلست في مقعدها إلى البيانو، كانت يداها ترتجفان ...

سرعان ما توقفت الرجفة عندما لمست أناملها ...
المفاتيح.

بعد ربع ساعة من الوقت، أرخت يديها عن لوحة ...
وأغمضت عينيها وقد شعرت بتلاشي قواها.

«شكراً.» همس من ورائها واستدارت ببطء على ...
وهي تنظر إلى عينيه الخضراوين الصافيتين ...
ساكنة في إحدى برك الغابات. وارتسم على شفتيه ...
ابتسامة.

«لقد عزفت هذه المقطوعة كما تصورتها في عقلي ...
كتبتها.» قال بهدوء. وأدركت مادلين أنها عزفت ...
المقطوعة بطريقة فريدة من نوعها. قال النقاد إنه ...
وتعوزه الرشاقة، وينجز أعماله بغير تفكير. و...

... بالانحدار. لم تتذكر أنها قررت أن تعزفها
... إلا أن النوتة انسابت من أناملها إلى لوحة
... ولكن تلك القطعة هي التي قدّر لها أن تعزفها في
... الخاصة.

... تريدين، يا مادلين.» كان يقول بحماس فيما
...: «سأعطيك أي شيء تريدين، مقابل أن يسمع
... موسيقاي بالطريقة التي تعزفينها.»

... أمامها وأفكارها تتسارع. فقد أمضت
... تريد أشياء من الناس إلا أنها لم يكن لديها ما
... المقابل. أخيراً، جاء من يطلب منها أن تعطيه ما
... عندها. وللمرة الأولى أتيح لها أن تختبر هذا
... المرعب في أن تكون مشاركة في السباق البشري
... تكون مجرد مشاهدة.

... في هذا البيت الرائع، دعني أعزف
... دعني أكون على مقربة منك وأنت منكب على
... أحوز على كل هذا إلى الأبد، كانت تفكر، إلا أنها
... أن لا تسأل عما هو دائم. فلا شيء في عرفها يدوم.
... لن نربح أية جائزة ونحن نتناقش هكذا.» قالت
... بالدهشة: «سأعمل أي شيء لأعزف موسيقاك
... حق قدرها.»

... ضحكة خفيفة وأزاح يديه عن كتفيها ثم أدارها
... وقد جلس على عقبيه قرب المقعد وهو يحدق في
... نحن ثنائي ناجح، أنت تعلمين... ثنائي لا يهمهما
... الموسيقى، ومن أجل الموسيقى سنضحي بأي
... سنكون فريقاً ولا أنجح.»

www.liilas.com/vb3

شعرت برهن ضحكتها. «نعم. ينبغي علينا [illegible] ـه فجاة وهو يحملق بها مصدوماً، وكأنه كذلك.» راح صوت في ذهنها يؤنبها، إن ذلك لن يدوم [illegible] تنبأ. «أنا آسف، لا أدري ما الذي دفعني تربيتينه كثيراً. وعندما نرغب بتحقيق أشياء أو [illegible] ربما لا تبدو على صواب. فقد كنت وحيداً إليها، أو نتعلم أن نحبها، فهي سرعان ما تزول.

أحست بتوتر حين راحت يداه تنزلقان من بين [illegible] أشبه بأصابع باردة سوداء تضيق الخناق معصميها. احتضن يديها وهو يحدق فيهما بتمعن [illegible] هل هذا كل شيء؟ لا شعر. لا موسيقى. لا اتصال الرهبة. فشعرت أنها لم تعد تملكهما، كأنهما صار [illegible] ؟ مجرد انفعال بسيط لرجل تنمي كل هذا مستقلاً عنها يقوم هو على عبادتهما. انحنى على [illegible]

ولثم باطنهما وكأنه في عبادة، وكادت أن تغيب عن [illegible] إليها لبرهة. نظرته ثابتة، وتعبيره مبهم. «لقد حلقت في رأسه وهو منكس، وبدأت موجة من [illegible] قال أخيراً وهو يستدير نحو الباب: «علينا أن تتحلل في داخل معدتها لتشيع الدفء في رجليها و[illegible] السينة.»

ووجهها في وهج ظاهر. وشعرت إذ ذاك بتسارع [illegible] مادلين قربه وهي ذاهلة. عرض عليها أجراً لائقاً تنفسها. [illegible] يستحق الفنان في المستقبل. هزت رأسها من دون

راحت تفكر في انخطاف كلي. هذه هي الموسيقى [illegible] جفنة. فلا شيء كان يهمها، ولا شيء سيؤثر والشعر ومعنى الحياة، وأنت تشعرين بها لأول مرة [illegible] إلى روزوود.»

نفسك. وهي ربما لن تنتهي أبداً.

وقف فجاة ودفعها برفق لتقف إلى جانبه [illegible] مادلين لأول مرة بطول الرجل الذي بجانبها.

«انظري إليّ، يا مادلين.»

رفعت عينيها صاغرة، وأمسكت عن التنفس [illegible] أن عينيه قد أصبحتا قاتمتين، وتحت تأثير تلاعب [illegible] تبدوان سوداوين لا اخضرار فيهما وتضجان بالـ[illegible] والدفء.

«الياس.» نادته لأول مرة وشعرت بأن اسمه صار [illegible] على شفتيها.

الفصل الرابع

شغلت مادلين في الأيام الثلاثة التي تلت، كل ... وقتها بالأعمال المنزلية فوضبت ملابسها القليلة ... إدراج مواعيد جديدة لتلامذتها مع أساتذة بديل... ونظفت شقتها استعداداً لغياب طويل. أي نشاط ... منشغلاً عن ذكرى تلك اللحظات في الاستوديو ... بأمان. إلا أن ومضات من تلك الذكرى كانت تتسلل ... فجأة، لتقطعها عن العمل، فتتوقف مكرهة وتصر ... اسنانها وهي تحاول جاهدة أن تنسى تلك ... الجامح وهي في عناق مع الياس.

مراراً وتكراراً، خاصة اثناء الليل عندما كانت ... متعبة على سريرها وقد جفاها النوم، تعود ... اللحظات الثمينة في ذهنها. فقد لمسها الياس ... بتلك دفاعاتها، جعلها تحلم بأشياء كانت ... بأنها لن تصبح ملكها. وفجأة تراجع القهقرى ... للاحساس الذي هز عالمها. فقد كان هذا ... إليه مجرد زلة بسيطة، ردة فعل بسيطة لا قيمة ... كرهته من أجل ذلك، إذ إنها كانت لم تزل تح... لمسته، في حين كان همه الشاغل هو الذي يلز... حقائبها.

كان يتصل بها من عند دافيد في كل يوم، مع ك... كان صوته يزداد غضباً. استشاط غضب ...

... أسلاك الهاتف: «ما الذي يحتاج إلى كل هذا

... » أجابت بحدة، وهي تشد بقوة على ... وأضافت: «لا بد من بعض الوقت لنغلق الباب ... أنت تعلم ذلك!» ثم اقفلت السماعة في حركة تحدٍ ... ـيها. بعد ساعات، لم تصدق بأنها أقدمت عليها.

... على الأريكة في صالونها ذي اللون الداكن ... فنجان من القهوة، كان فارغاً منذ وقت طويل، ... تستجمع قواها لتقف وتجر نفسها إلى السرير. ... ـيها الذي سماعها رنين الهاتف على المنضدة

... عندما سمعت صوته ثم أجابت بهدوء:

... كي أعتذر يا مادلين. فقد كنت عديم الصبر ... إني آسف.» بعد هنيهة من السكوت المطبق ... مادلين؟ ألا تزالين على الخط؟»

... أخيراً ببضع كلمات: «إنني آسفة بشأن ما حدث ... ما كان يجب أن أقفل الخط.»

... سخيفة. فقد راح دافيد ينعتني بأبخس النعوت ... هذا وهو على حق.»

... ابتسامة كئيبة في إحدى زوايا ثغرها وقالت ... تشكر دافيد عني.» فهي لم تجلس معه أكثر من ... وها هو قد أصبح وكيلها المدافع عنها.

... ـكريته بنفسك. فأنا متأكد من أنه سيأتي إلى

روزوود لزيارتنا من وقت إلى آخر، إلا إ[illegible]
رأيك بالنسبة للعمل معي؟»

لقد أربكها سؤاله، إذ إنه لم يخطر على بالها [illegible]
رأيها، إلا أن نبرة صوته العالية هذه جعلتها [illegible]
يتوجب عليها أن تأخذ بعين الاعتبار خياراً [illegible]
كانت تضع نفسها على مشارف خيبة أمل جديدة [illegible]
مجدداً في غرام مكان آخر، يجب عليها [illegible]
قصير.

أصلحت من جلستها وشدت على السماعة وقد [illegible]
إماراتها أكثر قساوة. قررأيها أن لا تأخذ [illegible]
المنحى في الوقت الحاضر. إن كل ما عليها [illegible]
تبقى غير معنية وبعيدة، عن كل شيء، وقد صا[illegible]
سنوات خبرة في هذا المجال. وقد أبلت [illegible]
ذلك.

هتفت أخيراً: «لا، لم أغير رأيي.»

«كم يلزمك من الوقت حتى تحزمي حقائبك؟»

رمقت الحقائب المتراكمة قرب الباب وقائمة الأ[illegible]
عليها أن تقوم بها، وغطاء البيانو الذي بات [illegible]
مشؤوم. «لقد انتهيت.» قالت وقد أخذ [illegible]
وهي تتوقع أن تبقى ليلة أخرى في سريرها. [illegible]
كان سيجفوها النوم في تلك الليلة أيضاً.

أجاب: «سأكون عندك في خلال ثلث ساعة.»

أقفل الخط قبل أن تتمكن من تسجيل اعترا[illegible]
الساعة قد دقت العاشرة، وأن لا لزوم للقيادة [illegible]
الظلام، حين يمكنهما الانتظار حتى الصباح.

[illegible] الاتصال به مجدداً، فلم يجب أحد وفي أقل من
[illegible] السيارة متجهين شمالاً.

[illegible] طوال الطريق إلى روزوود، واستفاقت
[illegible] تتعثر على سلالم البيت الضيقة. ذاك البيت الذي
[illegible] كعكة الزنجبيل. كان الياس ممسكاً بها
[illegible] بيد باردة متجردة لا إحساس فيها.

[illegible] اللمعان اللطيف للخشب المصقول حديثاً وهو
[illegible] القمر المتسرب من خلال نافذة غرفة النوم ولم
[illegible] رائحة الشراشف العطرة، المجففة في الشمس
[illegible] ارتسمت ابتسامة خفيفة على شفتيها وهي تدفن
[illegible] وسادة الريش، ونامت تلك الليلة وهي تحلم
[illegible]

[illegible] التالية التي سمعتها كانت غريبة ومرعبة، نعيب
[illegible] أو أنين متذبذب ومتواصل في وتيرته.
[illegible] عينيها على مداهما وراحت تحدق في
[illegible] المتشابكة في ظلالها الغريبة على السقف، عندما
[illegible] الأصوات أغمضت عينيها وراحت تضحك من
[illegible]. فقد كان باستطاعتها أن تنام وسط عويل
[illegible] الإنذار أو أصوات الأبواق في ضوضائها التي
[illegible] ولكن كان يصعب عليها سماع صياح الديك أو
[illegible]

[illegible] أنها في الجبل الآن وراحت تتساءل إذا كانت
[illegible] هانئاً. كهذا من قبل. فلا ضوضاء الشارع
[illegible] مسامعها ولا تضج في أذنها مشاحنات الجيران
[illegible] شقتها الرقيقة، ولا القناني الزجاجية الموجودة

www.liilas.com/vb3

فوق المنضدة تجلجل بصوتها لدى سماعها لخفقات الموسيقى الصادحة من مكان ما... طرحت الدثار جانباً، وارتعشت عندما صفعها الهواء البارد. ولا غرو، فهي مستلقية من دون قميص نوم. فاستقامت في جلستها وراحت تفرك يديها بنشاط. وتذكرت كيف هزت برأسها عندما سألها الياس إذا كانت تريد حقيبتها وكيف أن شعوراً انتابها بأن تتعرى وتندس في فراشها. لكنها سرعان ما أزاحت عنها طيف هذه الذكرى وتحولت لتتناول ثيابها عن الكرسي بجانب سريرها ثم تجمدت.

كان الياس واقفاً على عتبة الباب ولم يكمل خطواته. وقد غاب عن باله بأنه ممسك بصينية الفطور التي راحت تهتز بين يديه، وجعلت عيناه تطوفان عليها ثم جمدتا على وجهها في دهشة صامتة.

لبرهة من الزمن، كانا جزءاً من لوحة صامتة، شخصين مندهشين يحملقان بأعين بعضهما بعضاً، خائفين من [illegible]

رمقها بنظرة فيما كانت يدها متشبثة بالدثار. ثم [illegible] إلى عينيها وقال وهو يمشي بهدوء واضعاً الصينية [illegible] الطاولة بقرب السرير: «إنني آسف.»

جلست مائلين على سريرها وقد أخذت منها [illegible] مأخذاً وأحست بوجهها الدافىء وكأنه أتون من [illegible] معمعان تأججه وهي تراقب كل حركة كان يقوم بها [illegible] من غير تفكير ومن دون أن تتمعن بما تقول: «لقد [illegible] بأنك ستسكن في الاستديو، وان البيت سيكون لي [illegible]»

رفع أحد كتفيه بلا مبالاة وكأنه غير آبه لعريها [illegible]

«هذا الفطور هو للترحيب بكِ في اليوم الأول.» ونفض منديل المائدة الموضوع على الصينية، فهفت رائحة القهوة والبيض لتملأ الغرفة. «أستميحك عذراً إذا كنت قد أربكتكِ. تمتعي بفطوركِ. سأراكِ في الطابق السفلي.»

بقيت لمدة طويلة ساكنة على فراشها بعد انصرافه وهي ذاهلة وقد تخدرت أعصابها من تصرفاته. فهي بالطبع لم تتوقع أن يتأثر أي شخص لدى مشاهدتها عارية، لكن لم تتوقع أيضاً هذه اللامبالاة الشديدة من أول رجل يجدها في هذا الوضع.

فقد كان ذلك أكثر من مخز بالنسبة لها، وكأنها قد تحولت إلى نكرة في هذا الوجود فهو لم يرها على الإطلاق. ذلك كان دليلاً كافياً على أن اقترابه منها وملامستها لم يكونا بدافع قصدي.

لم يكن من طبيعتها أن تغضب، فقد كان الغضب هو الملاذ الوحيد حين يدرك المرء عدم انتاجية باقي الأحاسيس، [illegible] في سورة غضب الآن ليس مناسباً.

[illegible] من الجنون أن تستشيط غضباً بمجرد أن رجلاً لم [illegible] عندما دنا منها وهي على ما كانت عليه. ومع [illegible] التي عبّر فيها عن تصرفاته كانت غير مريحة.

[illegible] أن نظرة فاسقة منه أفضل من لامبالاته [illegible] إلا أنه سرعان ما اعترتها حمرة الخجل وهي [illegible] هذا التفكير.

[illegible] الدثار جانباً وقامت من سريرها وهي غاضبة من [illegible] وعكفت على حقائبها التي وصلت بطريقة ما [illegible] في الطابق الأعلى. وقبل أن تعي ماذا كانت

تفعل، كانت كل قطعة من ثيابها مرمية في أرض الغرفة في فوضى ظاهرة. ارتاعت من تصرفها هذا وهو الشاهد الحسي لأحاسيس لم تكن تدرك أنها أحاسيسها هي. وارتدت بنطال جينز وقميصاً مبقعاً ببقع شتى كانت تنوي استعماله كخرقة لتمسيح الغبار. فلتكن ملعونة إذا كانت من الآن وصاعداً ستعتني بلباسها من أجل رجل، ما يكاد يدرك وجودها.

قال لها وهو يخفي ابتسامة متهكمة فيما كانت تدخل المطبخ: «أنتِ ملوّنة بالف لون اليوم، أليس كذلك؟»

أجابت بسخرية: «لا أدري لماذا لم آبه لشكلي الخارجي. ولكن يبدو أن ذلك لا لزوم له إذا كنت ستدخل متطفلاً إلى غرفتي في كل مرة.» رمت بالصينية جانباً وهي تشاهد البيضات المسلوقة تقفز من الصحن. لم تكن قد تذوقتها.

قال وقد عيل صبره: «قلت لك إني آسف، إذا كنت قد أربكتك. وما الخطب إذ رأيتك هكذا؟ فأنا لن آخذ صورك لأبيعها في الشارع.»

أدارت ظهرها له في حركة متعمدة لتسكب لنفسها فنجاناً من القهوة، في الواقع كانت تريد أن تخفي الارتباك في قسمات وجهها. فهي لم تغضب لدخوله عليها متطفلاً ولكنها غضبت لأنه لم يعرها شأناً. فأية امرأة هي إذاً؟

أعاد ترداد اسمها بنبرة خفيضة: «مادلين، لم أقصد أذيتك. فالحقيقة أني استعجلت باستقدامك من المدينة، ولم يكن معي حق في ذلك. وما اتياني بالفطور إلا على سبيل المصالحة ومد جسر السلام معك، وليس ذلك تطفلاً على عزلتك أو تدخلاً في حياتك الخاصة.»

تنهدت مادلين طويلاً. فقد كان يحاول الاعتذار، ومن الأفضل على المدى الطويل أن لا يعرف أنه يعتذر عما لم يرتكب.

تناولت فنجان القهوة وجلست قبالته. كان مرتدياً بنطال جينز وكمّا قميصه مرفوعتين لتظهر عضلات ساعديه. تساءلت مندهشة، كيف يمكن أن ينمي ساعديه بهذا الشكل وهو يجلس إلى البيانو طوال النهار، وقالت: «لا يهم، لقد تجاوزت حدودي. لننسى ذلك.»

أشرق وجهه بابتسامة سريعة لم تدرك مغزاها.

قالت متطلعة إلى النافذة حتى لا تلتقي نظراته: «لم أكن أعلم أنك تطبخ.»

«أفعل ذلك مكرهاً، كان باستطاعتنا أن نتناول الفطور في الخارج، ولكنني لم أكن أرغب في إضاعة وقتي هذا الصباح. أود أن أذهب إلى الاستديو لنبدأ العمل.»

أخذ فنجانها يقعقع في صحنه وقالت: «اليوم؟ لكنني لم أفرغ حقائبي بعد، ولم أرتب غرفتي، وإذا كنت سأسكن في هذا المكان فإنه يحتاج للتنظيف.» مسحت بأحد أناملها الغبار عن الطاولة ورفعته لتتحقق بنفسه.

أومأ برأسه قائلاً: «إن بيكي ستهتم بذلك.»

«بيكي؟»

أومأ برأسه مرة أخرى وقد أنارت ابتسامة دافئة وجهه: «ستحبين بيكي، فهي تعيش في القرية، ولكنها ستأتي كل يوم لتطبخ وتنظف وتقوم بكل ما يحتاجه البيت...» ورفع أحد حاجبيه الداكنين في مواجهة تعبيرها المرتبك وأضاف: «بالطبع لم تأت إلى هنا كي ترعى شؤون

www.liilas.com/vb3

المنزل؟ فليس لديك الوقت لهذا. لدينا الكثير [illegible]
وقت قصير.»

راقبته وهو يتكلم بسرعة. لاحظت حركاته [illegible] يشرب القهوة، ولاحظت كيف يقوم بكل شيء بسر[illegible] الحياة نزهة قصيرة، لا وقت فيها للراحة وتذوق [illegible]

«علينا أن ننجز مقدمة المقطوعة في [illegible] لتسليمها إلى المنتج وإذا أعجبته وحازت على [illegible] ذلك يبدأ العمل الحقيقي. يلزمنا كذلك شهر، إلى [illegible] كي ننهي الاسطوانة ونسجلها. وقد يطلب منا، بعد [illegible] بعض الموسيقى الدعائية لتسويق الفيلم وليس [illegible] حبة في العنقود... هل تعتقدين أن باستطاعتك [illegible]

هزت رأسها بسرعة وقالت وقد روعتها الفكرة: [illegible] محترفة. فأنا مدرّسة بيانو. لقد قلت لك ذلك [illegible] وليس لي هوى في ذلك. ولم يكن باستطاعتي [illegible] بإعلانات دعائية أو...»

«لقد خُلقتِ من أجل الإحتراف.» كان يحدق في [illegible] وقد أحست بهذا التقارب معه، مثلما شعرت به [illegible] لموسيقاه.

فجأة، قطب جبينه، أشاح عينيه بعيداً عنها [illegible] أنهما تكشفان الكثير. وقال بفظاظة: «إشربي قهو[illegible] بعزف الموسيقى.»

الفصل الخامس

[illegible] أمام باب المطبخ وقد أذهلها التبدل [illegible] القناء الداخلي في خلال ثلاثة أيام. فقد أطل [illegible] على القرية، كتلك الممثلة التي دخلت إلى [illegible] غرة وقد تذكرت موقعها على الخشبة. [illegible] شجيرات الليلك الخفيفة لترتدي حللها بعد عري [illegible] كاملاً وقد اصطفت في طول الفناء كالسابلة [illegible] على جانبي الطريق في انتظار استعراض ما. أما [illegible] المرتفع كالأبراج خلفها فقد راح يناطح [illegible] الأديم بأوراقه الخضراء، في حين راحت [illegible] تنشر من براعمها الأريج العطر وتطلقه في [illegible] الورود في مقبرتها، بدت أقل تصلباً وأكثر [illegible] أغنية الحياة قد عادت لترتعش فيها بألوان [illegible] العين تدركها.

[illegible] في تفكيرها، وهي تتأمل مفتونة مشهد [illegible] وقد عادت الحياة تخفق فيها بفضل يديها [illegible] تشذيبها وقلب التربة تحتها. فكم صرفت [illegible] وهي ترعى زهوراً بيتية في شقتها الصغيرة [illegible] حديقة، كتلك المنبسطة أمامها؟ ولم تستطع إلا [illegible] على ركبتيها وتهيل التراب النديّ على يديها [illegible]

[illegible]؟» توقف الياس على بعد بضع خطوات منها

www.lillas.com/vb3

في الممر أمامها ورمقها بنظرة جانبية. فرنعت [illegible]
تلك الحديقة الحافلة بالجمال ونظرت إليه وقد [illegible]
قسمات وجهها بمسحة زائلة من هذا الجمال [illegible]
أمامها.

ومضت الشمس على شعره ومضات ضاربة إلى [illegible]
وخرقت قميصه الأبيض لتظهر ما خفي من [illegible]
دون سابقة انذار أحست وكأنها تمتلك الرجل [illegible]
معاً.

تعثرت أفكارها وهي تحاول أن تكون أكثر [illegible]
وبقيت عيناها محدقتين به على وسعهما، والتزت [illegible]
قليلاً وكأنها قد بدأت تحس نفسها في خضم تلك [illegible]
انتابتها عندما شاهدت روزرود، ذلك الوعد الغامض [illegible]
رائع الذي يجافي المنطق ويلزمها برجل ومك [illegible]
تضطر أن تغادرهما في ما بعد.

قال بهدوء فيما التزت شفتاه قليلاً: «أنتِ جميلة [illegible]
هذه.» ثم خيمت الظلال على قسمات وجهه فأصبحت [illegible]
نكناه. استدار ببطء... باشمئزاز، فكرت مادلين [illegible]
يتابع سيره.

سارت وراءه، في الممر، مارة بخميلات الزهور [illegible]
الحقل وصولاً إلى مبنى الاستديو. كانت تحس [illegible]
بنشوة عارمة. لم تدرك بسهولة أنهما وصلا إلى [illegible]
لأنها كانت مأخوذة بالطريقة التي كانت فيها عضلات [illegible]
تتحرك تحت قميصه، فيما كانت خصلات شعره [illegible]
ترتفع لتحيي النسيم في خطراته. وأحست بدفء [illegible]
تحت قميصها بينما راح الهواء يهدهدها بغلالة [illegible]

[illegible] الجديدة. بدا العالم كأنه يبتسم ليومها الأول من
[illegible] الجديدة، وإذا كان بالإمكان التخمين من أشياء
[illegible] والمحيط فإن المستقبل لا يحمل في طياته
[illegible] الأمنيات والآمال.

[illegible] دخولهما الاستديو بدأ كل شيء بالتحول.
[illegible] الباب يغلق خلفهما قليلاً حتى شعرت مادلين
[illegible]. وكأن البناء كله قد أثّر تأثيراً قوياً على
[illegible] يؤثر الربيع الطلق على الطبيعة. نظرت في
[illegible] ملامحه وأيقنت من دون أن تفهم كيف
[illegible] الرجل الذي التقاها في الحديقة الذي وصفها
[illegible] قد تحول لدى اجتيازه عتبة باب الاستديو إلى
[illegible] لا يشبهه في قساوته وانكبابه الدائم على عمله.
[illegible] إليها فجأة وبفظاظة ظاهرة وقد امتزجت خضرة
[illegible] قاتم جعلها ترتعش. نظر إلى البيانو عبر
[illegible] كانت تفصله عنه فيما شعرت مادلين وكأنها
[illegible] عندما تمتم: «إني أكاد أن أسمع الموسيقى.» فيما لا
[illegible] مسمرتين إلى البيانو، وفجأة نفض رأسه إلى
[illegible] يحملق فيها.

[illegible] نظراته الغريبة تلك، وشحب وجهها عندما أدركت
[illegible] فكرت، يا إلهي، ماذا فعلت لأستحق كل ذلك؟
[illegible]: «تابعي، إنكِ تضيعين الوقت.»
[illegible] عيناها بارتباك، وكأن العالم كله قد زال من
[illegible]

[illegible] فيما كانت لا تزال واقفة في مكانها: «ألم
[illegible] لا تقفي هكذا مشدوهة. لدينا عمل نقوم به. إجلسي

www.liilas.com/vb3

إلى البيانو وابنتي بالتمارين.» استدار على عقبيه [illegible]
منشامخاً عبر الغرفة باتجاه مسكنه.

تتبعته بنظراتها، وهي مندهشة من تصرفه هذا إلى [illegible] أنها تساءلت ما إذا كان حقيقة قد تكلم معها بهذه [illegible] الفظة أم أنها تتخيل ذلك. وراحت تفرك يديها على [illegible] ذراعيها وقد أحست بقشعريرة باردة. ثم تحولت [illegible] البيانو.

تعرفت أناملها للحال على المفاتيح وراحت [illegible] الهدوء القائم بنوتاتها المهدئة، المألوفة والمتصاعدة [illegible] جوف الآلة بتآلف وتناغم كليين. أخذت تعزف وتعزف [illegible] وبإيقاع أسرع وأسرع إلى أن خبا صدى صوته في [illegible] ضميرها.

أغمضت عينيها وأطبقت شفتيها وراحت [illegible] بانخطاف كلي، حتى صرخت عضلاتها طلباً [illegible] حررت أناملها وأخذت تقوم بحركات سريعة [illegible] وهبوطاً حتى بدأ الدم يتدفق في يديها.

«حسناً. هذا يكفي.»

جمدت يداها فوق لوحة المفاتيح وأحست بحضوره [illegible] واقف وراء كتفها اليمنى واستغربت دخوله عليها [illegible] أن تنتبه لذلك.

«اعزفي هذا.» قال وهو يناولها نوتة جديدة.

أجفلت لدى سماعها لنبرته الآمرة تلك واغبرّت [illegible] الرماديتان وصارتا أشبه بغيمتين تتلبد بهما السماء [illegible] يداها ساكنتين فوق لوحة المفاتيح.

«تنفسي.»

[illegible] حركة مفاجئة لا إرادية عندما شعرت بيديه [illegible] عنقها:

[illegible]

[illegible] مجنونة قررت أن لا تفعل ذلك في تحدٍ ظاهر [illegible] أنها سرعان ما تنهدت وقد بدت حانقة لأن [illegible] عن إرادتها بسرعة. امتلأت رئتاها فيما راحت [illegible] في عضلاتها المتصلبة وهو يدلكها.

[illegible] تزيح يديه عنها قائلة: «لا تفعل ذلك.» إلا أنهما [illegible]

[illegible] بصوت أجش، ونبرة مغناطيسية شبيهة بيديه: [illegible] لا تتحركي. اهدئي.» تلاشت العدائية من نبرة [illegible] كانت مجرد أضغاث من حلم مزعج.

[illegible] الضغط يزول عنها، وبان كتفيها قد بدأتا [illegible] يديها تتحدران رويداً رويداً إلى لوحة [illegible] عليها من دون أن تحدث أي صوت.

[illegible] أرخى يديه حول عنقها. «هذا أفضل. اعزفي [illegible]

[illegible] العزف وهي تنظر إلى الورقة المائلة أمامها على [illegible]

[illegible] وصلت إلى نهاية الورقة بانت وراءها أخرى ثم [illegible] أما هي فكانت تعزف وحاجباها معقودان [illegible] من الخيال الحزين وانشقت شفتاها بتنهيدة [illegible] ثم صارت هي الموسيقى. وتحولت تلك النغمات [illegible] المثيرة للمشاعر إلى أغنية يترنم بها قلبها.

[illegible] لمسة لطيفة على ذقنها تدير رأسها إلى اليمين.

ولم تلبث أن تعرفت إلى تلك اليد على أنها [illegible]
الياس إبان عزفها وجلس قربها على المقعد [illegible]
أنامله تحوط نقنها وهو يحدق إليها وعيناه [illegible]
بصمت.

«هل هذه أغنية الفيلم؟»

أومأ برأسه قائلاً: «إنه عنوان الأغنية لقد [illegible]
في الليلة التي تعرفنا فيها على بعضنا بعضاً [illegible]

أطبقت شفتاها وهي تعبة، كي تطرد ذاك الشعور [illegible]
كان بجناحها، حاملاً معه الدفء وكأنه يعانقها [illegible]
الأشياء الحميمة أن تعزف موسيقاه وأن تحس [illegible]
معها إلى حدود الياس الذي كان سبباً في [illegible]
المحبّرة على القرطاس. كأنها تستطيع أن [illegible]
فتقول للعالم أجمع ما رأته هناك. فالاتحاد مع [illegible]
كان غامراً... ومرعباً.

تملك الياس الشعور نفسه، أيضاً... مزيج من [illegible]
والرعب معاً. وقد راحت تتبينه في عينيه، وتشعر [illegible]
ارتعاشة أنامله الدافئة وهي تنزلق من نقنها إلى [illegible]
وإلى النبض الخافق في تجاويف حنجرتها.

لم تكن قد أدركت بعد أن أنامله كانت تنزلق [illegible]
النتوء في صدرها، وسمعت صوتاً يصرخ [illegible]
تراجعي، يا مادلين، تراجعي الآن، طالما هناك [illegible]
غير أنها كانت ضائعة في خضرة عينيه التي وعدت [illegible]
والولادة والأمل، وراح صدرها يخفق تحت يده [illegible]
الأرض حين تشيع عروسة النهار الدفء في أرجاء [illegible]
بدا كل شيء طبيعياً ولا محيد عنه. فقد انتمت إلى [illegible]

[illegible] اليوم الأول الذي عزفت فيه موسيقاه، وهو
[illegible] صار جزءاً منها وانصهر في بوتقتها.
[illegible] شعورية وراحت يدها قليلاً لتغطي يده ولتضغط
[illegible] وخالت للحظة أنه يبتسم لها من خلف عينيه
[illegible] المطبق، ولكن فجأة، تحوّل داكناً في
[illegible] كأنه يتوعد بشر مستطير. ولتشل يده بسرعة
[illegible] عن البيانو وراح يحملق بها.
[illegible] ما كان يجري أمامها تحوّل إلى أوراق
[illegible] ثم رفعها بين أنامله وقال: «اعزفيها مرة
[illegible]

[illegible] إلى أوراق الموسيقى أمامها وقد راحت
[illegible] نظرها.
[illegible] قال بلهجة آمرة فيما ارتعش حاجباها قليلاً
[illegible] الكلمة ولم تفقه بعد الجواب المناسب.
[illegible] صرخ بصوت عالٍ، تحركت يداها بخجل
[illegible] المفاتيح وهي تتذكر المطلوب حتى لو لم يقم
[illegible] وصدحت النغمة الأولى بنشاز ظاهر.
[illegible] وجهها: «إجعليها باء مسطحة!» عضت على
[illegible] نعشها صراخه وقالت: «هذه باء مسطحة،
[illegible]
[illegible] في وجهها. الساقل. وفور استعادتها
[illegible] صوتها ستقول له إنها لن تقبل منه هذا التصرف.
[illegible] عيناً. هيا! لقد عزفت اللحن على أحسن وجه
[illegible] الأولى: ماذا جرى لك؟ وكأنك تلميذة في السنة
[illegible]

راحت تركز أكثر. إذ كان التركيز على الموسيقى [illegible]
من التركيز على عدائيته التي لا سبب وراءها [illegible]
تنكر ما حصل بينهما أو كاد أن يحصل، أم أن كل [illegible]
نسج خيالها. أخذت يداها تضغطان أكثر على [illegible]
وبسرعة أكثر، وهي تشظي الهواء بنغماتها [illegible]
غير أنها وبغرابة ظاهرة لم تبال لذلك. في [illegible]
يرضيها أن تعزف بنشاز ظاهر، حتى تقوده إلى [illegible]

ضربت أخيراً بعنف على لوحة المفاتيح و[illegible]
على قدميها وتحولت لتواجهه وقد احمر وجه[illegible]
عيناها. للمرة الأولى في حياتها أحست [illegible]
حقيقية للتحدي، فارادت أن تصرخ في وجهه [illegible]
صدره بقبضتها وتصرخ قائلة إنها لم تتفه [illegible]
تعد تعي وعيده ووعوده التي تثير رغباتها من غير [illegible]
لاشباعها، كما الحياة التي قدمت لها بيتاً و[illegible]
اختطفتهما منها لاحقاً...

لحسن الحظ أنها لم تكن تجيد لعبة التحدي [illegible]
قط في أن لها الحق في أن تصرخ وتضرب [illegible]
وتنتفض ثائرة لدى معاملة الآخرين لها بـ[illegible]
فهي عندما تكلمت بدا صوتها خفيفاً غائماً و[illegible]
«لا أعتقد أن باستطاعتنا العمل سوية. من الأفضل [illegible]
عن شخص غيري.»

راحت تنظر في عينيه الزمرديتين الـ[illegible]
حدقتاهما ثم اشاحت عنه وغادرت الاستديو [illegible]
تصل إلى غرفتها حتى ترنحت أمام الباب [illegible]
ركبتيها من الارتخاء.

[illegible] كانت غلطة رهيبة؟ في القدوم إلى هنا، وفي
[illegible] استماعها إلى موسيقى إنسان ما، قد يجعلها
[illegible] أيضاً.
[illegible] وهي تبتعد عن الباب بأنها قد تكون أقوى
[illegible] فهي قادرة على الأقل على مغادرة المكان
[illegible] قبل أن يطلب أحد منها ذلك. وفيما راحت تعود
[illegible] البيت، أخذ عقلها يتشبث بتلك القطعة الصغيرة
[illegible] وهي تتدلى وراءها كبقية غيمة هزيلة غائرة
[illegible]

www.lilas.com/vb3

الفصل السادس

بحثت مادلين داخل خزانات المطبخ عما تحضر [illegible] إبريقاً آخر من القهوة، ثم جلست إلى طاولة وراحت [illegible] إلى حديقة الورد، وهي تشعر بزوال خفقة الحياة [illegible] العيدان اليابسة السوداء التي كانت تشرئب [illegible] الأرض.

تصلبت وهي جالسة على الكرسي، حين رأته [illegible] باتجاه المنزل، وقد نكس رأسه وكأنه مستغرق في [illegible] كرهت ضعفها في مواجهة رجولته وكيف كان [illegible] منسكباً في قالب على رجليه فيما هو يمشي [illegible] العريضان وأشعة الشمس تلمع على الخصلات [illegible] شعره الأسود.

دخل من الباب بهدوء، ونظر إليها ثم انزلق على كرسي في مواجهتها وناداها: «مادي.» فقطبت جبينها [illegible] مرتابة من نبرته الناعمة ومن مناداتها بكنيتها [illegible] أطلقها عليها. فلم يبادها أحد بهذه الكنية قبل [illegible] قائلاً: «لا ألومك على ما فعلته، غير أنني لا أريد [illegible] عازف آخر. فلا أستطيع استخدام عازف آخر [illegible] مثلك.»

شعرت بخفقة قلبها اللاشعورية والغادرة في صدرها وكأن حمامة صغيرة كانت محبوسة هناك.

قال لها: «إنني آسف لما حصل هناك. فلا [illegible]

[illegible] الطريقة التي عاملتك بها والله يعلم أنك تستحقين [illegible]» توقف فجأة وهو يفرك يده على فمه. [illegible] تعتذر للطريقة التي لمستني فيها، أم للطريقة [illegible] فيها بعد ذلك؟» كانت الكلمات تنساب من فمها [illegible] أنها ستتفوه بها وقد وثب قلبها إلى حنجرتها، [illegible] وقحة وجريئة.

[illegible] في مكانه لدى سؤالها، وعيناه شاخصتان إليها [illegible] للاثنين معاً. ليس معي حق في أن أتصرف [illegible] الطريقتين.»

[illegible] فعلت، كانت تفكر. فقد أبحت لك أن تلمسني من [illegible] على الأقل...

[illegible] لا يبدي ولا يعيد، وهو ما يزال يحملق [illegible] وهو يبتسم بمرارة: «لقد تورطت مع [illegible] قبل ذلك يا مادلين ثم تزوجتها، في [illegible]

[illegible] لماذا لم يقل لها دافيد بأن زوجة الياس السابقة [illegible] أيضاً عازفته؟

[illegible] الياس حديثه في نبرة رتيبة مملة: «لقد أحب كلانا [illegible] وقد كنت أحمق بما فيه الكفاية وأنا أظن أن هذا [illegible] نحب بعضنا بعضاً. إن جعل هذين الأمرين [illegible] تتج عنه كارثة بالفعل، ولست مستعداً لأن [illegible] عينه مرة جديدة.»

[illegible] مادلين إنعكاساً لذات الألم الذي كانت تراه من خلال [illegible] سنوات، لذات الدفاع الهش الذي نصبته ضد أي [illegible] لأحد بالدخول. لا غرو في أن يصبح الياس

www.liilas.com/vb3

كوكا الحلوه

بارداً لدى دخولهما الاستديو للعمل. ويعيش تجربة الألم هذا من جديد.

فجأة، راح ينظر بعيداً عنها وكأنه لم يعد يتحمل رؤية وجهها لمدة طويلة باستمرار.

شرعت تذكره بنعومة: «أنا لست بزوجتك السابقة.»

نظر في عينيها، وارتخت أساريره لما رآه فيهما وقال: «لا، لست كذلك.» وبعد برهة راح ثغره يرتعش بشبه ابتسامة وقال: «أنت ساحرة يا مادلين، وأنت لا تدرين، أليس كذلك؟»

تذكرت [illegible] الذي [illegible] قال العبارة ذاتها، أم أن الياس قد ناداها بها أولاً؟ وأحست بوخزة خلف عينيها ورفت أهدابها بصعوبة.

تابع الياس بنعومة: «لم أطلق زوجتي فقط، بل أظن أنني طلقت العالم كله. وبقيت معزولاً لوقت طويل وأظن أنني نسيت حينها كيف أهتم وكيف أشعر... ثم سمعتك تعزفين موسيقاي في ذلك اليوم، وسمعتك وأنت تعزفين قلبك عالياً على البيانو، و... كنت كأني سمعت أحاسيسي، وتذكرت أيضاً بأنها موجودة.»

كانت ابتسامته ناعمة حتى ليكاد القلب ينفطر لها. ومد يديه عبر الطاولة وأمسك بيديها وقال: «كأنني مستيقظ من نوم أو سبات طويل. لقد أعدتني إلى الحياة مجدداً، يا مادي، بكل بساطة.»

جلست مادلين ساكنة لا تبدي حراكاً، وهي ما تكاد تتنفس وقد راحت أناملها ترتعش على راحتيه.

«شيء ما يحدث عندما تعزفين الحاني، يا مادي، فهناك

ترابط روحي قوي يجعل من الموسيقى تحيا من جديد أيضاً [illegible] لشيء نادر.» [illegible] وتقوس حاجباه مثل جناحين أسودين يظللان عينيه وقال: «لن أسمح لهذا الأمر أن يهدم.»

رفت عيناها بارتباك، فألقت أهدابها القاتمة بظلال فوق وجهها الشاحب.

«لا تدوم العلاقات إلى الأبد، يا مادلين.»

أومأت برأسها ببطء. فلا أحد يعلم هذا الأمر أحسن [illegible]

[illegible] موسيقانا [illegible] الأبد [illegible] [illegible] قد تدوم [illegible] الأبد إذا لم ندمرها باستسلامنا لأشياء قد لا تدوم مثلها.»

شعرت مادلين بأن الزمن يتوقف للحظة، وفي تلك الاستراحة السريعة انتقل شيء ما قاتم ليحتل المسافة القائمة بينهما، وأحست بأن أساريرها تتجهم، تتجمد في أي تعبير يصدف أن تغلف به وجهها.

«مادي.» شد على أناملها بأنامله وهو يناديها ثم اتكأ إلى الطاولة باتجاهها، وهو يسيطر على انتباهها وقال: «أعطيني فرصة أخرى.» كانت كلماته تنساب بنعومة حتى [illegible] ما كانت تسمعها.

نظرت إلى حيث كانت يداها مغلولتين كطائرين بلا حياة، ثم نظرت إليه مجدداً وقد ارتسمت حول فمها ابتسامة واهنة وحزينة وقالت بنبرة تعوزها الفخامة: «من أجل الموسيقى.»

«نعم، الموسيقى. فلا شيء أهم منها.»

كانت الساعة الصغيرة فوق المجلى تملأ السكون القائم

www.liilas.com

في المطبخ بدقاتها فيما أغمضت مادلين عينيها وأخذت نفساً عميقاً وقالت بلطف: «الموسيقى مهمة لي أيضاً.» وهز برأسه آملاً فيما انفصلت شعرة سوداء من رأسه عن رفيقاتها لتتدلى فوق جبينه.

«هل هذا يعني انك باقية؟»

نظرت مادلين إلى يديها، وهي تتنهد باستسلام وتتساءل ما إذا كانت تستطيع فعل ذلك... إذا كانت فعلاً، تستطيع قضاء أيامها وهي تراقبه، تستمع إلى موسيقاه، تشعر بوجوده، تقترب من عقله لتلامسه عبر مفاتيح البيانو تلك، إنها لا تهتم أكثر من اهتمامه هو. ألن يكون أسهل أن تغادر الآن؟ بالطبع، أجل. وسوف يكون ذلك مكاناً آخر يضاف إلى سلسلة أخرى من الأمكنة التي تركت فيها وراءها، فلذة من قلبها. وقالت بهدوء: «يجب أن تكون الأشياء مختلفة، لن تصرخ في وجهي. أريدك أن تعاملني، مثل صديق...»

ارتخت كتفاه فيما أخرج تنهيدة طويلة. ونظر إليها لبرهة. ثم ببطء، وبحركة احتفالية مدّ يده عبر الطاولة وقال: «حسناً يا مادلين. أعدك بذلك.»

ترددت مادلين، ومع أنها علمت أنها كانت تعرّض نفسها لمزيد من العذاب، صافحت يده الممدودة، وهي تمهر بذلك الاتفاق الجديد الذي قام بينهما.

وقف ببطء، وقد بدا حزيناً على الرغم من أنه حصل على مبتغاه، وقال: «لماذا لا تأخذين بقية النهار لتوضّبي مكان اقامتك فيما أقوم ببعض العمل في الاستديو؟ يوجد بيانو في الردهة الأمامية إذا كنت ترغبين في العزف عليه

وأمسك بمقبض الباب ثم استدار ونظر إليها قائلاً: «لن تأسفي لذلك، يا مادلين، أعدك بهذا.»

راقبته بصمت وهو يغادر، ثم تحولت إلى النافذة لتتبعه بنظراتها فيما هو يعبر حديقة الورد ويختفي وراء الصنوبرات البيض، وهمست: «بلى، سوف أفعل.»

لم تدر كم مضى عليها وهي جالسة هناك، تحملق إلى خارج النافذة، حين سمعت صوت سيارة على الطريق الأمامية مما جعلها تقف على رجليها.

مشت عبر البيت إلى الباب الأمامي ففتحته ونظرت إلى ناطرة قديمة وقد تشقق زجاجها الأمامي على الجهة اليمنى.

خرجت من خلف مقود السيارة، امرأة نحيلة، صغيرة الحجم، وكانها قد سكبت داخل بنطال. وكان شعرها الكستنائي ينسكب فوق كتفيها في تموجات لماعة كثيفة. وحين رأت مادلين عينيها الداكنتين، أضاءت وجهها المستدير ابتسامة.

«مرحباً!» لوحت بذراعها السمراء ثم انحنت لتسحب أكياس البقالة من داخل السيارة.

تقدمت مادلين نحوها للمساعدة وقد ظنت بانها المرأة التي أخبرها الياس عنها وقد أدهشها جمالها الأخاذ غير الطبيعي وقالت: «مرحباً. أنا مادلين شمبرز.»

ناولتها المرأة كيساً من البقالة بابتسامة شاكرة وقالت: «لا يمكن أن تكوني أحداً آخر، لا كما وصفك الياس لي. ألم يخبرك عني؟»

«بلى، أنت بيكي، أليس كذلك؟»

www.lillas.com/vb3

«بالضبط فأنا ربة المنزل، والمتسوقة للبيت والطاهية... وكل ما تحتاجان إليه.» هزت كتفها بمرح وقالت: «بالمناسبة، أين إيلي؟»

رنت مادلين مبتسمة وقد أعجبتها هذه الكنية: «إنه في الاستديو.»

أمسكت بيكي بالكيس الأخير وأغلقت باب السيارة ومشت متقدمة مادلين نحو البيت وقالت: «لم تفعل شيئاً لإزعاجه إذاً. يا إلهي انظري إلى هذا المكان!» وتوقفت في داخل الباب [illegible] يبدو [illegible] وضح النهار حتى لتكاد تشم رائحة الغبار.»

«في وضح النهار؟» راحت مادلين تمشي وراءها في الرواق مروراً بالسلالم حتى المطبخ.

ومضت بيكي بابتسامة مألوفة من وراء كتفها: «لقد نظفت غرفتك بعد حلول الظلام مما بعثر حبيبات الغبار العالقة هنا وهناك.»

«لم يكن يجب أن تفعلي هذا...»

«بلى، فعلت. لقد اتصل الياس وأتيت مسرعة. هكذا تجري الأمور. ضعي الكيس على الرف إذا سمحت. ألم يتسنَّ لك الوقت لكي ترتبي أمورك هنا؟»

أجابت مادلين وهي لاهية عنها: «كلا. فأنا لم أفرغ حقائبي بعد.» وعضت على شفتيها بحيرة ودهشة وهي تتذكر الملابس المنتشرة في غرفتها. «في الحقيقة لقد بدأت بتفريغ حقائبي، نوعاً ما.»

«نوعاً ما؟»

هزت بكتفها وهي مرتبكة قليلاً. «لقد رميت بكل شيء

أحضرته معي في كل مكان من الغرفة. لقد كنت في سورة غضب.»

نظرت مادلين إليها فيما كانت تقوم بتفريغ محتويات الأكياس وهي تتعجب كيف أن امرأة بهذا الجمال لا تعمل عارضة أزياء بدلاً من مدبرة منزل. وسألتها: «هل هناك الكثير من المنازل التي تهتمين بها؟»

ضحكت بيكي فيما هي تخرج مشطاً من جيبها وتعقص شعرها بدبوس إلى قمة رأسها: «هذه فعلة الياس، لا شك. هو يفعل ذلك. [illegible] الناس على طول [illegible] لكي يرموا بأشيائهم في كل مكان هنا وهناك.» ونظرت إلى مادلين في محاولة الحصول على موافقتها وقد وجدتها. ثم هزت برأسها هزات صغيرة.

ضحكت بيكي وهي تمد يديها في كيس آخر: «لا أفعل ذلك لأكسب عيشي، بل فقط من أجل الياس. أنا معلمة مدرسة وهذه عطلتي الصيفية.»

تراجعت مادلين في أفكارها خطوة إلى الوراء، لكن بيكي استمرت بالثرثرة: «أنا سعيدة لأنه سوف يبقى هنا لبعض الوقت هذه المرة. فهو عادة يبقى لأيام قليلة ثم يغادر إلى مكان آخر... أي مكان آخر.» توقفت لبرهة ونظرت إلى مادلين ثم تابعت: «لقد حاولت لسنوات أن أكلمه بشأن السكن هنا بشكل دائم. ربما بمساعدتك أستطيع إقناعه.»

شحبت مادلين وتراجعت هذه المرة خطوة فعلية إلى الوراء، وبدأ كل شيء يظهر واضحاً أمامها. بيكي لا تنظف المنازل من أجل كسب العيش، هي تقوم بذلك من

www.liilas.com

أجل الياس فقط. بيكي تنظف غرفة النوم بعد حلول الظلام... ماذا قالت هي؟ «الياس يتصل، وأنا أحضر بسرعة؟»... وهي الآن تتوسل مساعدة مادلين لإقناعه بالبقاء معها بشكل دائم...

«هل من خطب؟» كانت بيكي مقطبة الجبين رداً على تعابير وجه مادلين.

«لا، لا شيء على الإطلاق.» أجبرت نفسها على الإبتسام وأضافت: «سوف ابتعد عن طريقك الآن.»

كانت الكلمات تعني أكثر من عزمها على مغادرة المطبخ، ولكن بيكي لم تدرك ذلك بأي شكل من الأشكال.

«سوف أعد الغداء في وقت قصير.» ثم تقدمت من الثلاجة وفتحت بابها، وابتعدت بسرعة وهي تجعد أنفها باشمئزاز: «أف، يوجد شيء ميت هناك.» نظرت إلى أعلى ووجهها مشرق ثم قالت: «من الآن فصاعداً سوف أكون هنا بشكل يومي، بالمناسبة، إذا احتجت لشيء ما دعيني أعلم بذلك.»

ابتسمت مادلين ببرود وهزت رأسها، ثم اعتذرت وغادرت المطبخ، وهي تتوق إلى إيجاد بيانو والعزف عليه.

لم يرها الياس الصالون في جولتها الأولى في البيت، بل اختار أن يفتح الأبواب الخشبية لجهة غرفة الجلوس عندما مرا بها. شقت الأبواب الآن بجهد كبير، ثم نظرت إلى ما بدت أنها أكبر غرفة في الطابق الأرضي.

كانت قطع قليلة من الأثاث المريح منتشرة في تلك الغرفة، وموقد نار من القرميد، وحائط مغطى بعشرات الصور المؤطرة التي قررت مادلين أن تتفحصها في وقت لاحق.

أما الآن، فقد كانت تتوق إلى رفع الغطاء الملقى فوق البيانو الصغير قرب النافذة.

أدهشها أن تجد أن البيانو الأسود القديم بحاجة إلى تلميع، وقد ظهرت عليه بعض الشقوق التي ابرزت الخشب العاري، وكانت المفاتيح العاجية صفراء. لم يكن من نوع الآلة الموسيقية التي يتوقع أن يحتفظ بها الياس شيبرد في بيته.

ولكن ذكرت نفسها، أن هذا المنزل ليس بيته؛ لقد رفض حتى النوم هنا. بالإضافة إلى ذلك، فإن نظرة سريعة إلى الآلة تثبت أنها تلقى عناية حسنة على الأقل من الداخل، ويصدر عنها صوت رنان رائع.

جلست من دون أن تفكر ثانية وتركت البداية الحزينة لمقطوعة بيتهوفن سوناتا ضوء القمر تمحو العالم من وجدانها. وفي اللحظات الأول دفعت بكل أفكارها إلى زوايا عقلها، ثم تاهت في الموسيقى.

البيانو كان دائماً مهربها الوحيد، ملجأها من حقيقة قاسية لا تستطيع مواجهتها، حريتها من مشاعر حادة لا تستطيع كتمها في داخلها.

في كل مرة كانت يداها تلامسان أربعة المفاتيح كان البيانو يحاكيها وهو يحتفل بانتصاراتها وأفراحها، وينتحب أتراحها، ويرثي يأسها. فقد كانت خجولة في طفولتها، وكان التعبير عن مشاعرها من خلال البيانو أهون من مقاسمتها مع أناس لم تعرفهم لمدة طويلة.

توقفت عن العزف، وتركت النغمات الحزينة متعلقة في الهواء كصدى لحالتها. بيكي واقفة في الرواق، ساكنة. لا

تبدي ولا تعيد فيما كانت تتدلى من يدها ممسحة من الريش وقالت بهدوء: «لقد نسيت ما معنى الموسيقى في هذا البيت. فقد مضى على ذلك وقت طويل.»

مزق الصمت القائم صوت أشبه بدوي الرعد وهو يصرخ: «ربيكا!»

استدارت بيكي بسرعة وهي تقول: «ههنا!» وقد أشرق وجهها اشراقة مضيئة.

في ثوان قليلة كان الياس واقفاً في الرواق وهو يرفع بيكي بين ذراعيه بابتسامة لم ترها مادلين على وجهه قبلاً. وأمسك بوجهها بين يديه وراح يقبلها على وجنتيها. ثم وقفا وهما يبتسمان لبعضهما بعضاً وهو غافل عن مادلين وكأنها صارت قطعة من أثاث.

بلعت ريقها بصعوبة وقد ظنت أن ما قاله في تجنبه التورط العاطفي ينطبق فقط على العازفات وليس على القائمات على خدمة البيت أو أساتذة الموسيقى.

أدار الياس رأسه فجأة ووقع نظره عليها فصاح: «لم أدرك أنك هنا. أعتقد أنكما قد تعرفتما على بعضكما بعضاً. لماذا لا نجلس ونأخذ القهوة؟»

حاولت مادلين أن تبتسم غير أنها أخفقت في ذلك ولم تلبث أن قالت: «في الحقيقة كنت على أهبة أن أصعد إلى فوق. إلا انني أردت أن أجرب البيانو أولاً.»

حاول الياس أن يتقدم نحوها قائلاً: «جربيه إذاً.» إلا انها انتصبت واقفة قبل أن يهم باتخاذ خطوته التالية.

«لقد فعلت ذلك. إنه لعظيم، إلا أنني تعبة الآن. أراكما فيما بعد.»

مشت بهدوء ولم يكد أسفل السلم يخفيها عنهما حتى أسرعت في خطاها. راح الياس يناديها فيما كانت قد أوصدت الباب خلفها ولم ترد على ندائه. وارتخت مفاصلها وهي متكئة إلى الباب وأمسكت عن التنفس علها تسمع صوته مجدداً وهو يناديها، إلا انه لم يفعل.

كانت المنضدة تواجهها عبر الغرفة ولم يكن أمام مادلين من مفر، إذ عليها أن تركز على صورتها المنعكسة في المرآة. الصورة التي رأتها بنت لا شكل لها تحت تلك القميص المجعد. صغيرة، ومثيرة للشفقة بشكل غريب.

تنهدت بعمق وهي تبتعد عن الباب. عبرت الغرفة واقتربت من المرآة حتى لكاد نفسها أن يجعل زجاجها ضبابياً.

وهمست بحزن: «أنت غير مرئية. فهو يستطيع سماعك تعزفين، إلا انه لا يستطيع رؤيتك، لأنك غير مرئية.»

يتدلى عليها بتموجات ناعمة من العنق حتى أخمص القدمين. وكانت عند ارتدائه، وبكميه الطويلين المتهدلين عند المعصم، آية في التواضع الأنثوي. وسرعان ما تساءلت إذا كان ارتداء زي كهذا هو محاولة لا شعورية في مناقضة زي بيكي الهزيل والبعيد عن كل بهرجة.

بيكي. إن ذكرى أنوثة بيكي المفعمة بالحياة والنشاط كانت وكأنها تسخر من انعكاس صورتها في المرآة وهي بالأبيض من قمة الرأس إلى أخمص القدمين، مع خصل الشعر العديمة اللون والمنسدلة حول كتفيها. وامتدت يدها لتتناول الصباغات أو أي شيء. لاعطاء الحياة لشفافية وجهها الشاحب، غير أن سخافة تقليد جمال بيكي قد أدهشها، وتركت الصباغات من دون أن تلمسها. وفيما نفذت كل الحيل لابقائها بعيدة عنهما، غادرت غرفتها وبدأت بنزول السلالم.

كان الياس ينتظر وهو مستغرق في ظلال العصر في الطابق الأرضي من المنزل.

ارتبكت لدى رؤيته، وابطأت ثم توقفت وهي تنظر إليه فيما راح هو ينظر إلى أعلى، ويده ممسكة بالدرابزون، ووجهه جامد في تعبير غريب. كان شعره أسود لامعاً، وقد بدا أنه أخذ حماماً وصفف شعره وهو مردود إلى الوراء كيفما اتفق.

تسمرت عيناه عليها، وهي صامتة تنظر في خضرة عينيه التي كانت تبدو عميقة وكأن كل خضرة الربيع كانت تنعكس فيها. ولاحظت أنه كان يلبس الأسود وقد ساهم ذلك في إعطاء وهج لعينيه ولاستجلاب نظرها إلى

الفصل السابع

كانت شمس الأصيل تغسل الغرفة بأشعتها الوردية عندما استيقظت مادلين، فجلست على سريرها وتفحصت ساعتها.

لقد نامت أربع ساعات ولم يحرك أحد ساكناً لإيقاظها. ولماذا يفعلان ذلك؟ فكرت بأسى فيما راح ذهنها يستعيد صورة الياس وبيكي وهما يتعانقان.

شعرت فجأة بالحنين إلى شقتها، إلى أثاثها، حيث كانت تجد راحتها وأمانها. لدى مشاهدتها روزوود للمرة الأولى اعتقدت أنها ستكون مكاناً مماثلاً. البيت، الموقع، وحتى حديقة الورد التي قتلها الشتاء بدت تناديها كأنها أصدقاء قدامى، ولكن كم بدا ذلك سخيفاً وهي تستعيد الأحداث الماضية وتتأمل أن لا مكان لها هنا.

استغرقت أطول وقت ممكن في أخذ حمامها ثم بتجفيفها لشعرها، وارتدائها لملابسها وإعادة ترتيب غرفتها، في محاولة منها لتأجيل رحلتها المحتومة في النزول إلى الطابق الأرضي ولقائها المحتوم مع الياس وبيكي الذي سيذكرها بأنها أصبحت دخيلة كما كانت في كل مكان دلفت إليه.

مثل طفل في دثار الأمان، وجدت بعض الراحة في قطعة من الثياب كانت تحبها حباً جماً. الفستان القطني الأبيض الذي أصبح رقيقاً لتعرضه للغسيل المتواصل ولكنه كان

ذيك اللونين، الأسود والأخضر وابقائه أسيراً هناك من دون أن تنبس ببنت شفة رفع يده قليلاً عن الدرابزون ومدها إليها ومن دون أن تعي ما هي بصدده، وأخذت بها.

شعرت بوخزة خفيفة في أصابعها وهي تنزلق إلى داخل راحته وخطت خطوة باتجاهه فيما لا تزال عيناها محدقتين في عينيه ثم راحت تخطو خطوة أخرى. وتوقفت على بعد درجة من درجات السلم وقد أصبح وجهها بمساواة وجهه، إذ لم يعد باستطاعتها أن تتقدم أكثر. وقال بهمسة خفيفة: «تعالي، يا مادي.» وأحاطت يداه بخصرها ورفعها نحوه من دون جهد. وتدلت رجلاها في الهواء وخالت قلبها يسبح فوق جسمها كما سبحت قدماها فوق الأرض. ثم أنزلها رويداً. فقد كان قريباً جداً منها، وعندما شعرت مادلين بضغط أنامله حول خصرها، أفلت يديه وتراجع بسرعة بعيداً عنها.

نظر إلى الأرض في الوقت نفسه، ثم أخذا يتطلعان ببعضهما بعضاً بتردد.

قال بهدوء: «لا بد أنك جائعة، فقد نمت حتى الظهر.»

أومأت مادلين برأسها بحركة قوية وعيناها واسعتان. مع بعض خدع الذاكرة، خيّل لها أن يديه لا تزالان تحوطان بخصرها.

«هيا بنا.» استدار وهو يمشي أمامها في الرواق باتجاه المطبخ ولحقت به وهي غافلة عما حولها وعيناها شاخصتان إلى حيث كانت قميصه متشبثة وغائرة بين عظم كتفيه.

قال وهو يستدير نصف استدارة: «لقد حضرت بيكي لنا

العشاء قبل أن تذهب. لم اعتقد أنك قد ترغبين في الخروج هذه الليلة.»

دلكت خصرها بحركة لا شعورية فيما هي تلحق به لتمحو ذكرى لمسته. «هل ذهبت بيكي؟»

«منذ ساعات.»

كانت ظلال العصر المديدة تملأ غرفة المطبخ، والهواء قد أذعن لكآبة الغسق. وكان المصباح فوق المجلى مضاءً إلا أن الظلام لم يكن قد احلولك بعد ليشع أكثر. توقفت مادلين في الرواق وارتجفت وشعرت بانزعاج غامض.

كانت لمسة بيكي في كل مكان من البيت. النافذة فوق المغسلة تلمع الآنية الفخارية الفارغة قد أزيلت عن شرفة النافذة إلى مكان آخر غير مرئي. وفي المختلى المظلل كانت مساحة لماعة من الأرض تمتد حتى الموقد المنظف حديثاً، في آخر الجدار. وكانت الكراسي التي تحيط به أكثر لمعاناً. وإلى الأمام قليلاً، امتدت الطاولة القائمة تحت النافذة المطلة على حديقة الورد، وهي معدّة لشخصين، فيما كانت صفحتها تلمع من بين الحصر الصفراء الممدودة عليها.

بقيت ساكنة في رواق الغرفة فيما كان الياس يحرك شيئاً يستوي على النار ذا نكهة خاصة.

قال لها: «كنت أحتسي الشراب. هلاّ صببت لكِ بعضاً منه؟»

نظرت إلى إبريق من البلور وإلى كؤوس متناسقة مع الابريق، كانت مصفوفة على الطاولة بيت ثمينة وفي غير موقعها بين الآنيتين الفخاريتين الجبليتين.

الموضوعتين هناك. ابتسمت وهي تسكب الشراب وتفكر بالأضداد التي التقتها في هذا الوقت القصير الذي أمضته في روزوود. أعمال التطريز المشغولة بكل تدقيق وإمعان تملأ هذا البيت الخالي من الحب؛ الياس الممزق بين حنوه ونفثه وانقلابه المفاجيء إلى البرودة؛ الحديقة الميتة وسط ربيع موفور؛ والآن تلك الآنية من البلور في مطبخ على الطراز الجبلي.

إنضم الياس إليها إلى الطاولة وقال بانحناءة بسيطة وهو يرفع كأسه: «في صحتك وطبقاً لما قالته بيكي، علينا أن ننهي هذه الزجاجة قبل أن نفكر بالأكل.»

رشفت مادلين من الشراب ذي اللون الأحمر القاني وغرقت في إحد الكراسي ذات الظهور المتمادية في الطول وانزعجت لبقائه واقفاً وهو ينظر إليها من أعلى وقال: «هل حقاً، أن كل ما تفعله سيء إلى هذه الدرجة؟»

قهقه قائلاً: «لا، فبيكي طاهية رائعة.»

راحت مادلين تحاكي نفسها وتساءلت إذا كان هناك شيء لا تستطيع بيكي أن تقوم به. إنها ربة بيت، طاهية ربما عالمة ذرة في أوقات فراغها. «أعتقد أنك تحبين الشراب؟»

هزت مادلين كتفيها وملأت كأسها وقد أدهشها وجوده فارغاً وقالت: «أعتقد أنه يحتم علي ذلك.»

هز الياس برأسه وهو يبتسم ثم تراجع باتجاه الموقد وهو يقول: «أعتقد أن بيكي قد حسبت حسابك. صبي لنفسك المزيد.»

وتساءلت مادلين إذا لم تكن ابتسامتها متكلفة

الخارج كما كانت عليه من الداخل. وأوقفت يدها حين وصلت آلياً نحو الابريق.

كان العشاء مزعجاً بصمته. وصرفت مادلين عشاءها بالنظر إلى الظلمة وهي تزحف إلى حديقة الورد خارج النافذة محاولة أن تتجنب نظراته قدر المستطاع.

استهل فجأة حديثه قائلاً وقد جعلها تجفل: «كان من المفترض أن نتعرف إلى بعضنا بعضاً هذه الليلة.»

«ماذا؟»

وضع شوكته بتأن ورفق مبالغ فيهما في صحنه وأخذ ينظر إليهما لفترة طويلة وكأنه كان يتوقع أن تتحركا أو تهتزا بمفردهما ثم قال: «من أجل ذلك خلق الشراب. ظنت بيكي أنه سيكون جميلاً أن نسترخي وأن نمضي أمسية إجتماعية رائعة.»

تقوس أحد حاجبيها وقالت: «حقاً؟»

هز رأسه بكآبة وقال: «لن تكون هذه الأمسية ممتعة مثل الأمسيات الإجتماعية، أليس كذلك؟ لقد كانت بيكي على حق. كان علينا أن ننهي الزجاجة.»

كان الظلام شاملاً عندما انتهي من غسل الصحون وتجفيفها. فقد كان تنظيف الطاولة عملاً أخرق إلى حد ما وكأنهما أشبه بغريبين يحاولان وضع بعض الترتيب في المنزل.

سمعت مادلين الياس وهو يتنهد تنهيدة عميقة فيما كانت تضع منشفتها المبللة على المشجب قرب الموقد كي تجف. واستدارت لتراه وقد أدار ظهره لها فيما كان رأسه منكساً ويداه متكئتين فوق المغسلة.

www.liilas.com/vb3

لم يكن عدلاً أن يسلط النور عليه في تلك الطريقة، فكرت مادلين بأسى، لأنه كان يشع عليه فيلمع شعره مثل هالة فوق رأسه، يظهر قميصه الحريرية المتشنجة فوق عضلات جسمه التي كانت تهتز عند كل زفرة.

قال وهو يتحول نحوها وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة هازئة: «نحن لسنا صديقين مثاليين، أليس كذلك؟ وإذا كانت هذه الليلة شاهداً على ذلك، فأنت تبدين مبتعدة عن الحياة الإجتماعية مثلي.»

ابتسمت ابتسامة خفيفة وقالت: «إنني آسفة. فأنا لست مولعة بالحديث أو بارعة فيه.»

«لا تعتذري، فأنا مثلك.»

تنهدا في آن واحد، ثم فيما أخذت شفاههما تعكس ابتسامتهما المتوترة، استدار الياس محولاً وجهه عنها وهو يدّعي شدّ إحدى الحنفيات التي لم تكن بحاجة لشدّ. ثم قال: «لقد اتصل دافيد هذا العصر.»

قالت متعجبة وهي تنزع خيطاً وهمياً من أحد كمي قميصها: «أصحيح؟»

«لقد أراد أن يأتي ليأخذك إلى العشاء نهار الجمعة.»

إن فكرة مشاهدة دافيد، وأن يكون لديها رفيق، تماماً كما الياس لديه بيكي، أصبحت فجأة تروق لها. لن يكون هناك صمت مزعج في أمسية برفقته. الصمت هو ألد أعداء الأشخاص مثل دافيد، إنه شيء قاتم ومخيف يجب أن يبقى بعيداً بأي ثمن. «أعتقد أنني أرحب بذلك. أي وقت سيكون هذا؟»

استدار فجأة ليواجهها غير أن شيئاً غريباً ظهر في

سيمائه، وقال: «لن يأتي. لقد قلت له بأن لا يفعل.»

ارتبكت مادلين للحظة ثم قالت: «لماذا فعلت ذلك؟»

قال وقد بدأ وجهه يتجهم: «لأنني... لا أريد أي شيء أن [illegible] عملنا.»

قالت غاضبة: «عليّ أن أبدأ بالأكل على أية حال.»

هز رأسه باستياء وقال بفظاظة ظاهرة: «إن دافيد من النوع الذي يلهي الواحد عن عمله. وأظن أن آخر ما تحتاجين إليه هو الهاؤك عن عملك.»

بقيت ساكنة برهة من الوقت وهي تحاول أن تصيغ كل ما كان يحصل أمامها من أمور لا تصدق، في كلمات. أخيراً أجبرت نفسها على القول: «أنت قررت؟»

ضاقت عيناه في محاولة دفاعية، رافضاً أن ينظر إليها وقال: «بالضبط. فأنا أعلم ما هو الأفضل في هذا الوضع.»

راحت مادلين تنظر إلى يديها وهما تتحولان إلى قبضتين بيضاوين قبل أن تدرك كم كانت غاضبة. فقد بدا كأحد الآباء المغرورين وهو يحاول أن يدق ناقوس الخطر ضد أحد أبنائه. وقالت بتأنٍ وهدوء: «ليس لديك حق في أن تتخذ قرارات مثل هذه.» لم تستطع من خلال صوتها الواثق أن تمنع نفسها عن التفكير بأن كان لديه الحق في وجود بيكي بشكل يومي بينما هي لا يحق لها أن تسهر ليلة واحدة بعيداً عن سيطرته.

عندما نظرت إليه أخيراً كانت عيناها قد اصبحتا قاتمتين بلون رمادي عاصف فيما اشرأب ذقنها ثائراً. وقالت بنبرات حادة ومتقطعة: «إني أعمل عندك، غير أنك لا تمتلكني، وإذا كنت أريد أن أذهب أو أخرج إلى العشاء مع

شخص آخر فهذا ما سأفعله بالضبط. سأتصل بدافيد غداً، وسأخرج معه مساء الجمعة.» دارت حول نفسها ومشت بتشامخ خارج المطبخ إلى الردهة. كادت أن تصل إلى السلالم حين أحست بيده تمسك بها.

لم يقل شيئاً البتة، بل أمسك ذراعها من خلف وأدارها حول نفسها بقوة حتى كادت أن تفقد توازنها. وعندما أصبحت في مواجهته كانت عيناها مأخوذتين به خلف غطاء من الشعر الأشقر الذي غطى وجهها، ولم يبد أنه يعلم فعلاً ما عليه أن يفعل.

تغضن حاجباه بارتباك ظاهر وأنزل ذراعها بسرعة وقال بصوت أجش: «قد نستطيع أن نذهب سوية ليلة الجمعة. لا لزوم للاتصال بدافيد لهاتي كل هذه المسافة.»

«لقد كان دافيد يرغب في القدوم وأنا أحب أن أراه.»

نظر إلى عينيها وبحركة أدهشتها رفع يده ليزيح الشعر بعيداً عن وجهها كي يستطيع رؤيتها بوضوح أكثر.

أغمضت عينيها بحركة لا شعورية لدى ملامسته له ثم راحت تفتحهما رويداً رويداً. وقال بهدوء: «حسناً. فهمت. فالأمر يختلف الآن، أليس كذلك؟» تراجع خطوة إلى الوراء ورفع يديه وقال: «كنت ذاهبة إلى مكان ما، أليس كذلك؟»

فتحت مادلين فمها باندهاش، ثم ترددت وهي تحملق في عينيه السوداوين تحت ضوء الرواق الشاحب. وهز رأسه وكأنه يحاول أن يقرأ تعابيرها في الظلام ثم تحول بعيداً ومشى نحو المطبخ.

تبعته بنظراتها وهي تراه يلتفت إلى الوراء نصف استدارة قبل أن يغيب عن نظرها.

قال من دون تفخيم في نبرته: «سأعمل لوحدي غداً صباحاً. كوني في الاستوديو بعد الغداء.» ثم سمعت باب المطبخ وهو يفتح ثم يغلق برفق وراءه.

الفصل الثامن

الربيع. كانت شفتاها تتمتمان بصمت تلك الكلمة وهي ترفع شباك نافذتها وتتنفس بعمق من نسيم الصباح الدافئ المعطر. وقد أضحى ذلك عادة من عاداتها في أقل من أسبوع، فهي تفتح نافذتها وتأخذ نفساً عميقاً وهي تحاول أن تتعرف إلى تلك الروائح الذكية الجديدة التي كان العالم يقدمها مع كل فجر. هذا الصباح كانت رائحة الأرض الذكية الغنية تتصاعد إليها من الحديقة الكائنة تحتها، فتفرح وينشرح صدرها لمساهمتها في تعزيز هذا المهرجان الحسي القائم نصب عينيها.

في المدينة، كان الربيع ينساب أمامها وهي في غفلة عنه. أما هنا، في الجبل، فقد كان الربيع يعود للحياة وهو يغمر حواسها بفيض من كل عطر ولون.

وراحت تفكر. سيبقى هذا الربيع عالقاً في ذهني حتى آخر أيامي، على الرغم من كل شيء.

تحولت الحياة في روزوود إلى رتابة مملة من ... المتتابعة. وفيما كان الياس يعمل بمفرده في الاستديو كانت مادلين تصرف صباحياتها في حديقة الورد، وهي غارقة في جمال الطبيعة الخفية. تلك ساعات صفائها الحقة، لا يعكر صفوها أي شيء.

أما فترات بعد الظهر، فكانت تقضيها مع الياس في الاستديو، وهي عاكفة على عملها، في عزفـ...

والإعادات. فيما كان هو يمرر يديه في خلال شعره، وهو عابس وغير راضٍ مطلقاً عما كان يقوم به. فقد كان واضحاً أنه يدور في حلقة من الاحباط في خلقه وإبداعه ولم يستطع أن يجد منفذاً إلى الخارج. ثم يذرع الغرفة جيئة وذهاباً فيما هو يشتم ويكسر الأقلام ويمزق الأوراق، حتى أنه في الأمس ضرب بقبضته على الحائط؛ ولكن، لم يكن يلومها لأجل هذا الاحباط. فقد كانت محادثتهما محدودة في إطار الموسيقى ولم تتعداها إلى شيء آخر. وكان كلما خاطبها بقي حريصاً على ابقاء نبرته ناعمة ولطيفة ومزاجه مكبوحاً، وطبعه هادئاً.

كان مليون سنة قد مرت منذ أن تصافحا بالأيدي لأول مرة وتعاهدا على الصداقة، وفي ... للأحداث الماضية والتأمل فيها بدت هذه الصداقة مادية صرفاً. على كل الساعات التي امضياها سوية لم يتبادلا الحديث إلا في الموسيقى. كانت الرابط الوحيد بينهما. وحتى هذه، في الوقت الحاضر بدأت عراها بالتفكك بسبب إلهامه المتدفق. ... ما كان يزعجها ظنها بأن تكون هي الملامة في عزفها ... على وشك استبدالها بغيرها، وأن معاملات فطامها عن الموسيقى قد بدأت.

... الأيام الثلاثة التي تلت بقي الياس سجين الاستديو، ... الذهاب إلى البيت لتناول وجبات طعامه، وأخذ ... رفقتها ما استطاع. أما هي فقد كانت تعيش يومها ... مناداته، وقد سربلتها الوحدة بجلبابها.

... بيكي تحضر يومياً لتنظيف البيت وتحضير ... وعلى الرغم من أن وجودها كان يخفف من هذا

الصمت المخيم على المنزل، إلا أن مادلين لم تكن تشعر بارتياح لوجودها. وكان نظراتها المذهلة وعلاقتها الودية مع الياس لم تكن بكافية لارعابها. فقد كانت مادلين تشعر بأن تياراً خفياً من العدائية بات يسري تحتها من دون أن تدرك كنهه، لأنه لم يكن موجوداً قبل ذلك.

خلصت في استنتاجها إلى أن الياس قد يكون أفضى إليها بأن عازفته الجديدة كانت تضيق الخناق عليه بطريقة ما، وتثير عند بيكي غرائزها الدفاعية إلى أقصى درجة.

لم تكد تصل إلى آخر استنتاجها هذا، حتى بانت بيكي. فقد سمعت مادلين صوت سيارتها وهي تقف في الطريق الخاصة خارجاً، ثم فتح الباب الأمامي وأغلق وراءها.

كشرت تكشيرة لا شعورية لدى علمها بدخولها إلى المنزل، إلا أنها سرعان ما شعرت بالذنب وهي تدغدغ هذه الفكرة. ليست الغلطة غلطة بيكي إذا كانت قد ولدت جميلة، ولا في أن يكون الياس قد راح يشعر إزاءها بمشاعر وأحاسيس لم يكن ليشعر بها تجاه مادلين. وتنهدت وهي تستعيد ذكرى أطباق الفطور المغطاة بمناديل السفرة والتي كانت بيكي تصعد بها إلى الاستديو كل يوم فيما كانت هي تتناول طعامها وحيدة في بيتها. ونادراً ما تعود بيكي أدراجها قبل مضي ساعة، ولم يكن ذلك يحتاج إلى كبير عناء في تصور كيف كان الاثنان يصرفان تلك اللحظات.

عندما نزلت مادلين إلى الطابق السفلي كانت بيكي منحنية على الأرض وهي عاكفة على فرك أرض المطبخ فيما كان شعرها مشدوداً إلى الوراء تحت شريط أزرق، ووجهها يلمع بقطرات العرق الناضحة منه. وكانت كالعادة ترتدي بنطـ

الجينز المقصوص وقد صار زيها العملي في عرف مادلين. وإلى ذلك، فقد كانت ترتدي قميصاً خالياً من الكمين، بهت لونه الأحمر والتزن بلون من الزهر الضبابي. وقد بدت، كما العادة، مذهلة. وجلست على عقبيها وراحت تمسح أعلى ذراعها على حاجبيها فيما كانت مادلين تولج إلى الغرفة.

استهلت بيكي كلامها قائلة: «القهوة جاهزة. أظنك تستحقين لقضاء صباح آخر في الحديقة.»

أشارت مادلين بأناملها إلى شعرها المعقوف كذنب المهر في قمة رأسها وراحت تحدق في الجينز الباهت والرث وقميصها ذا المربعات، الفضفاض، وقالت: «لدينا الكثير من العمل لنقوم به.»

هزت بيكي رأسها وهي تقول: «لقد كانت والدة الياس تهوى هذه الحديقة، مثلك تماماً.» وترددت وهي تبتسم ابتسامة خفيفة وأضافت: «ربما هي الآن تنظر من عليائها إلى هذا المكان وهي تضحك ضحكة عريضة إذ قد جاء من يرعى وروداتها ويهتم بها.»

كان ذلك أول محصلة من الأخبار عن هذه المرأة التي جعلت من هذا المكان منزلاً مثالياً وفي تغذيته بحبها. وعضت على شفتها السفلى ثم قالت: «هل كنت تعرفينها جيداً؟»

هزت بيكي برأسها وقالت: «ليس بالشكل الذي كنت أحب فيه أن أتعرف إليها. فقد انتقلت إلى برايتون سكوير قبل سنة من موتها.»

«ولكنك أعجبت بها.»

«بل أحببتها، فقد كانت امرأة رائعة.»

قالت مادلين: «اعتقد أنها كانت كذلك.» ثم غرقت في

www.lilas.com/vb3

تفكيرها وهي تتذكر كل تلك اللحظات التي شعرت فيها بحضور تلك المرأة المحبب في البيت، في المخيلة. ثم أضافت: «لهذا السبب لم أكن أعلم لماذا كان الياس يكره هذا البيت.»

راحت بيكي تحدق في عينيها في نظرة ملؤها الوعيد ثم قالت: «لا تعلمين شيئاً عن الياس، أليس كذلك؟»

بدت وكأنها في مجال الاتهام، فيما هزت مادلين برأسها وهي تشعر فجأة بأنها مذنبة لجهلها.

قالت بيكي: «حسناً، فيجدر بالياس أن يصارحك بما يريد منك أن تطلعي عليه، وليس أنا.» ترددت ثم طقطقت بلسانها قليلاً وكأنها قد ندمت لكونها كانت مقتضبة على هذا النحو الفظ وأضافت قائلة: «لم أكن أقصد أن أصرخ في وجهك والله عليم بذلك، وأعتقد أنك تعانين بما فيه الكفاية بالعمل مع إيلي.»

أخفضت مادلين من نظرتها وراحت تغمغم قائلة: «لم يعد يفعل ذلك كثيراً الآن. أو على الأقل، فهو يحاول أن لا يفعل. لقد توصلنا إلى اتفاق.»

أجابت بيكي ببساطة قائلة: «هكذا سمعت أو هكذا تناهى إلى مسمعي.» وأضافت وهي تنظر في دلو الماء الممزوج بالصابون: «لم أصدقه حين قال لي الياس إنكما تعاهدتما على أن تكونا صديقين.» فقالت تلك الكلمة الأخيرة بسخرية ظاهرة وكأنها لا تصدق الأمر.

أفلتت الكلمات من فم مادلين قبل أن تدرك أنها ستتفوه بها: «لا أعجبك كثيراً، أليس كذلك؟» ورمقتها بيكي مندهشة.

قالت أخيراً: «لا أعرفك تماماً.» ثم اشتبك حاجباها فيما راحت تتفحص مادلين ثم أردفت: «تذكرينني قليلاً بأمه. لقد كانت وسيمة مثلك، وباردة مثلك تقريباً.» وأنشأت تحدق في ثوبها ثم قهقهت فجأة وقالت: «بالطبع، فلم يكن للموت أن يفاجئها أبداً وهي في لباس كهذا. أما نمطها فكان في القبعة البيضاء، والقفازين وفستانها الفضفاض.»

صمتت مادلين: «لا يتوجب علي أن أرتدي الأبيض، فقد أكون تلاشيت.»

تنهدت بيكي: «ليس هذا ما يقوله الياس.» وانحنت لتستأنف عملها في فرك أرض المطبخ قبل أن تتفوه مادلين بأي حرف وتابعت: «النساء أمثالك يبدين جميلات في كل ما يرتدين. إني أشعر بالغيرة منهن حتى الموت، بصراحة.»

راحت مادلين تحملق، وهي مصعوقة، إلى شعر بيكي اللامع وهو يهتز مع حركات ذراعيها النشيطتين وهمست: «ولكنك بارعة الجمال.» «كانت أجمل امرأة رأيتها في حياتي.»

جلست بيكي على عقبيها مجدداً ونظرت إليها بنظرة ملؤها الحيرة: «جميلة ربما، ولكن لست ببارعة الجمال، ليس مثلك.»

مالت برأسها إلى مادلين وهي تنظر بتجهم قائلة: «يا إلهي، حتى أنك لا تعرفين هذا، أليس كذلك؟»

بلعت مادلين ريقها، وهي ترف أهدابها فيما راحت بيكي تقهقه عالياً، وفجأة، وكأنها تذكرت أنها لا تحب مادلين، انحنت على عملها وقالت بصوت أجش: «والآن، خذي فطورك واخرجي من هنا، فأنا سأغادر اليوم عند

www.lilas.com/vb3

الظهر، وأمامي الكثير من العمل لانجازه [illegible]

ترددت مائلين لبرهة ثم همست [illegible]

تحولت مهرولة في الرواق، وصعدت السلالم [illegible]
سرعتها وكان هذا الشيء كان على أهبة أن [illegible]
تسنح لها الفرصة برؤيته. ودخلت غرفتها [illegible]
عند المرآة. وهي تلهث وقد راحت عيناها [illegible]
الدهشة والتساؤل فيما انشقت شفتاها قليلاً [illegible]

جميلة؟ تجهمت أساريرها قليلاً وهي [illegible]
انعكاس صورتها في المرآة. فقد [illegible]
بسبب تواجدها المستديم في الخارج: ولكن [illegible]
ذلك، فقد كانت تبدو رقيقة ولطيفة كما كانت [illegible]
بعينيها الرماديتين بلونهما الفاتح، بشرتها [illegible]
على الرغم من تعرضها للشمس: شعرها [illegible]
وأيضاً معقوف الآن على شكل ذنب المهر [illegible]
كان أشبه بتلك الصورة التي تعرضت كثير [illegible]
لونها. إلا أن ذلك ليس بالجمال. فالجمال [illegible]
وكل انسان يعلم ذلك. فالجمال يتجسد في [illegible]
بيكي ممن يفضن حيوية ولوناً، حيث تتحول [illegible]
مراقبة.

تلهث وهي تشعر بانخداعها، وكان [illegible]
هدية ملفوفة بذوق، تظن فيما بعد أنها [illegible]

عثر عليها الياس بعد ساعة في [illegible]
منحنية فوق كومة من الأغصان الهشة و [illegible]
عنها ما علق فيها من أوراق وحشائش [illegible]
كومة التراب بعناية.

[illegible] ورائها: «إنك تضيعين وقتك.» وعركت
[illegible] رأسها بسرعة، مندهشة.

[illegible] وجهها ابتسم في الحال، ثم بطريقة لا
[illegible] ومسح بقعة من التراب كانت عالقة على
[illegible] ثم قال: «رائع.» وارتبكت فجأة لشكلها
[illegible] كان سروالها رطباً وأسود اللون نزولاً من
[illegible] وفيه أخاديد طويلة من التراب العالق على
[illegible] مسحت بيديها. استطاعت بطرف عينها
[illegible] من شعرها قد تحررتا من عقدتهما وهما
[illegible] في النسيم العليل. ومدت يدها لتمررهما
[illegible] ثم توقفت فجأة وقد أدركت أن يديها كانتا
[illegible] التراب. قام هو بذلك جالساً القرفصاء قريباً
[illegible] بيديه وهما تلمان تلك الخصلات
[illegible] وترو ضانهما.

[illegible] وجهه وقد انشقت شفتاها قليلاً عن
[illegible] دهشتها كم بدا مختلفاً تحت الشمس،
[illegible] الاستديو الاصطناعية. كانت خضرة عينيه
[illegible] شجيرات الليلك في مؤخرة الحديقة خلفه
[illegible] ويتمازج في زرقة خلفيتها سوداء. حتى
[illegible] وأقل اكتئاباً.

[illegible] تجاه خميلة الورد وقال: «إنها ميتة، أنظ [illegible]

[illegible] ومدت بيديها نحوه وأمسكت بأنامله
[illegible] حيث كانت طعوج التطعيم في قاعدة الخميلة،
[illegible] تحسس ذلك؟ تلك الدرنة القاسية في ساق

النبتة؟ ثم هنا. بلطف الآن. تلك النتوء البسيط؟ هذه هي البداية. إنها تعود إلى الحياة.» ابتسمت وهي تنظر إلى العيدان القاسية والجافة وقد سحرتها معجزة الربيع الناهض من غفوته. وقالت: «أليس ذلك أكثر الأشياء إثارة للدهشة؟ أن تشعر به تحت خفق نبضك؟»

عندما حدقت في وجهه ثانية، أربكها تعبيره، للحظة فقط لحظة، كانت عيناه تعكسان أحاسيس قلبها، حنانه الظاهر في نظرته الناعمة، ولكن فجأة تجهمت أساريره وسحب يده منها بفظاظة.

شد على ركبتيه ووقف وكان تلك اللحظة لم تحدث قط. راح ينظر حوله إلى العشرات من شتل الورد التي كانت مادلين قد عملت على تنظيفها من الأجسام الغريبة وشذبت الأرومات القصيرة في أصل الشجرة وقال: «لم ألاحظ من قبل كم عملت هنا.»

«لا أدري كيف كان باستطاعتك أن تلاحظ؟ فأنت لم تغادر الاستديو منذ أيام.»

رمقها بنظرة فيما راحت هي تنظر إلى يديها المسبلتين على طول فخذيها وكان شيئاً ما في عينيه قد جعلها تنظر إلى ذاك المكان.

قال بنبرة تعوزها الفخامة: «إني مغادر الاستديو اليوم يمكنك التمرين فيه إذا أحببت أو تأخذين فرصة بعد ظهر هذا اليوم. لن أعود قبل المساء.»

ارتخت كتفاها ببطء فيما كانت تراقبه وهو يبتعد باتجاه البيت، إلى حيث بيكي. وكانا قد غادرا حين دخلت المنزل لتتناول طعامها.

وقفت في رواق المطبخ وهي مذهولة من حدة ما كانت تشعر به. فلم تكن الوحدة، أو الحسد، أو الغيرة، أو خليط لهذه المشاعر. فقد كان أعمق من ذلك وأقوى... أشبه ببذرة متنامية من الثورة، ليس فقط كونها منبوذة بل لكونها غير جديرة بالاعتبار أيضاً. فقد غادر مع بيكي من دون الاهتمام على تركها لوحدها، وكأنها أصبحت مثل الآلات التي تطفأ عندما لا يحتاج إليها. بالنسبة له فهي ليست بإنسان من لحم ودم، بل زوج من اليدين لا وظيفة لها خارج لوحة المفاتيح. فالمرة الوحيدة التي اعترف فيها بوجودها كانت عندما أنت أداة: أشبه بأداء الحيوان المدرب في الاستديو. ولكنها، هي أكثر من ذلك. فهي كائن بشري أيضاً. امرأة، مثل بيكي... وقد آن الأوان كي يلاحظ ذلك.

أمضت أطول وقت حتى فترة بعد الظهر وهي تستحم وتغسل شعرها وتعزز قوتها البدنية عبر تلك الحركات التقليدية التي لم تكن لتلجأ إليها قبلاً.

إنتهت عند الغسق وكانت سعيدة من جراء ذلك. وأعجبتها الطريقة التي كان فيها النور الوردي يجمل صورة وجهها، ولم يرق لها شيء في منظرها الخارجي وقد ادهشتها صورتها المنعكسة في المرآة.

عملت على رفع شعرها فوق قمة رأسها فيما كانت بعض خصلات متدلية فوق حاجبيها ومعقوفة فوق أذنيها، وأسرفت في استعمال الطلاء وبدت عيناها خامدتين وراء رموشها الكثيفة وقد جعلها الكحل تبدو أكثر سواداً.

كان فستانها من دون كمين، باللون الأزرق الفاتح وكانت قد اشترته لحضور إحدى حفلات تلامذتها

www.liilas.com/vb3

الموسيقية. تلك هي المرة الأولى التي ترتديه. في ذلك الوقت شعرت بالإرتباك لأنه يلتصق بزوايا جسدها، وسخرت من ياقته العالية. لكن الآن هي مسرورة لإرتدائه.

أما التنورة فكانت واسعة تلتف حول وركها عندما تتحرك، قد امتحنت تأثير ذلك أمام المرآة بعينين واسعتين وجلتين. فلم يكن باستطاعتها أن تحدد الخط الذي يميز بين ما هو مغرٍ وما هو سيّىء الذوق. غير أن شيئاً واحداً كان أكيداً وهو أنه لن يكون بمقدوره أن يتجاهلها وهي بلباسها هذا.

إذا حاول أن يختبىء في الاستديو مجدداً الليلة، فكرت، ساخرج وأنا أتهادى بحذائي ذي الكعب العالي والح عليه أن يأخذني إلى العشاء. فهذه الليلة لن اتناول طعام العشاء بمفردي.

ترنحت قليلاً وهي تتهادىء بحذائها ذي الكعب العالي عندما سمعت الباب الأمامي يغلق بعنف.

كان واقفاً في آخر السلم عندما نزلت وكأنه كان ينتظرها لتعلن عن دخولها. بادلته النظر بجرأة فيما هي تنزل درجات السلم وهي تشعر بحفيف الحرير على ساقيها. وابتسمت لدى سماعها صوت تنفسه بين أسنانه.

راحت عيناه تطوفان عليها قبل أن تصبح على مرمى يديه، ثم توقفتا عند عينيها في نظرة باردة وكأنها قوة ملموسة تنذر بدفعها إلى الوراء.

قال بقرف ظاهر: «كنت أنسى اليوم الذي نحن فيه.» ثم ومن دون أن ينبس ببنت شفة، استدار ومشى بعيداً في البهو عابراً المطبخ وخارجاً من الباب الخلفي وقد أغلقه بعنف وراءه.

وقفت مابلين على السلالم وقد شلت حركتها وهي مصعوقة من ردة فعله. وأفكارها تردد مراراً وتكراراً أن كون المرء غير مرغي ليس شيئاً سيئاً. لكن أن يشاهد، ثم ينبذ، فهذا أسوأ. أسوأ بكثير.

الفصل التاسع

لم تدر مادلين كم مضى عليها من الوقت وهي واقفة على السلم وقد مات فيها كل حس وفكر بعد خروج الياس من الغرفة ببرودة ظاهرة. لكنها بدأت تدرك ذلك لدى سماعها نقرة خفيفة على الباب الأمامي، ولدى شعورها بوخزة في يدها القابضة على حاجز السلم. كان تلك القبضة كانت كل ما يمسك بها عن الوقوع.

عادت إلى وعيها وقالت: «أدخل.» وسمعت صوت حفيف الثوب فيما هي تتحرك.

دخل دافيد من الباب، ونظر إليها، ثم همس قائلاً: «يا إلهي.» وراحت عيناه تطوفان حول شعرها وفستانها، وبلع بريقه كتلميذ تملكه الإضطراب وتعلق بها بنظرات إعجاب جعلت مادلين تشعر بأن الروح التي سحقها الياس تعود للحياة ببطء.

همست قائلة: «شكراً، يا دافيد.» وهي تهبط بقية الدرجات. ووقفت على رأسي قدميها لتعانقه، ويداها تستريحان على كتفيه العريضتين وهي متعجبة من كونها قد صارت قادرة على الاتيان بهذه الحركة. كان الأمر سهلاً مع دافيد إلا أن ما يبدو منه، كان يشجع تلك الظاهرة العاطفية نحوه. وقالت مادلين وهي تقترب منه: «لن تدري أبداً كم أنا بحاجة لذلك.»

لمست بيداه خصرها وانحنت إلى الوراء وهي مأخوذة

بنظرته الباهرة. وكان تعبير وجهه غريباً عن ملامحه العادية، الواثقة. كما كان الصمت غريباً عن طبيعته. وشعرت مادلين بلمعان إطراء لا يحتاج إلى كثير كلام.

ابتسمت وهي تحدق في عينيه الكستنائيتين وخصلات شعره المتشابكة، الداكنة على رأسه وقالت له: «تبدو في غاية الجمال هذه الليلة.» ولاحظت أن قميصه الأزرق يتناسق في لونه مع فستانها وكان ذلك أشبه بالمصادفة الغريبة.

نفخ صدره وأطلق تنهيدة، وكأنه يستعيد قوته الخطابية. وقال: «لن أحاول حتى أن أقول كيف تبدين. فلم يخترعوا بعد الكلمة المناسبة.»

احمرت مادلين وأزاحت هذا الإطراء جانباً بهزة من كتفها.

سألها: «هلا نذهب؟»

ترددت مادلين وقد قطبت جبينها ثم سألته قائلة: «إلى أين؟»

«إلى العشاء، بالطبع. فلدينا حجز في الهيل توب إن... ألم يقل لك الياس بأنني قادم؟»

عضت على شفتها السفلى بين أسنانها وتجهمت قائلة: «في الواقع ما قاله لي هو أنك لن تأتي...»

رد عليها قائلاً: «ولأنه قال بأنني لن آتي، فقد أخذت بكلامه.»

حاولت مادلين أن تبتسم وقالت: «في الحقيقة لقد حاولت أن أتصل بك وأقول لك بأن تأتي بأي حال، ولكن كنا مشغولين كل هذا الوقت...» وهزت كتفها وهي تحاول

www.lillas.com/vb3

التهرب من سؤاله وتتساءل كيف غاب هذا الشيء عن ذهنها. وأضافت: «أعتقد أنني نسيت.»

تردد قليلاً، ثم تكلم ببطء وعيناه تطوفان في حيرة ظاهرة فوق شعرها وفستانها: «تعنين أنك لم تتوقعي قدومي؟»

أمسكت عن التنفس للحظة وذهنها يفتش عن عذر يبرر مظهرها الخارجي، ولم تلبث أن أفرجت عنه بضحكة واهنة وقالت: «كنت على وشك أن أذهب إلى العشاء بمفردي. فقد مللت ارتداء سراويل الجينز وقمصان الرياضة والبقاء محبوسة هنا...» وتوقفت قليلاً وتنهدت وهي تنظر إليه وأضافت بصراحة كلية لا غبار عليها: «ولكنك لا تعلم أبداً كم أنا سعيدة لكوني في صحبة أحد خاصة بصحبتك.»

رفع ذقنها باثنين من أنامله وراح يتفحصها بعينيه. وخفضت عينيها بدل أن ترد عليه، فيما أخذ يسألها عن الياس: «أين الياس؟ ينبغي أن أحيّه على الأقل قبل أن نغادر...»

ردت من غير تفكير: «ألا يمكن تأجيل ذلك؟ في الحقيقة، إني جائعة.» وأسرعت إلى خزانة المطبخ وتناولت شالها الخفيف وحقيبتها واستدارت نحوه وهي ممتلئة حبوراً. فقد كان واقفاً ويداه غارقتان في سرواله وهو يحدق إليها بفضول.

«بالطبع يمكن تأجيل ذلك. في الواقع ليس من الضروري أن أراه.» وأمسك بيدها وهو يبتسم لها بتعبير جعلها تشعر أن دافيد كان حساساً ويعرف بالحدس أكثر مما

يظن معظم الناس. ثم أردف: «تعالي، يا ملاكي، دعيني آخذك بعيداً عن هنا.»

يقع مطعم هل توب إن على رابية تطل على البلدة الصغيرة، على بعد بضعة أميال عن روزوود. كان مكاناً أنيقاً وبعيداً عن الإدعاء، بأرضيته الخشبية وجدرانه القرميد.

قالت مادلين بعد أن جلسا إلى طاولة في إحدى الزوايا قرب الموقد: «إنه لمكان جميل.»

«إنه خلفية مثالية لك.»

كان ذلك أحد الإطراءات البديهية التي كان الناس يستعملونها في تلميحاتهم، ووجدت مادلين نفسها تستمتع بها قليلاً. تنهدت وهي تهز رأسها ثم قالت: «إنك دائماً تقول ما تمليه المناسبة، يا دافيد. فالإطراء من اختصاصك، أليس كذلك؟»

مال برأسه، وقد ارتسمت على وجهه إمارات من الحيرة المزدوجة بالدهشة وقال: «وهل يزعجك الإطراء؟»

ابتسمت بنعومة وقالت: «لا، بالطبع لا. لكن أحس بأنك تردد ما قلته لي مئات المرات. فقد قلت إنك تمثل الجزء اللطيف في الشراكة القائمة بينك وبين الياس. إنه جزء من عملك، أليس كذلك؟ تعمل على تلطيف الأجواء فيما يعمل الياس على تعكيرها.»

كان غارقاً في سكونه حتى في ما إذا كان يتنفس، ولم يحول عينيه الداكنتين عنها بل بقيتا عالقتين بعينيها. وأخيراً أجاب: «نعم، إنه جزء من عملي وهنا تكمن الصعوبة، أليس كذلك؟» وتقوست شفتاه بابتسامة هازئة

www.liilas.com/vb3

وأشار إلى نادل الشراب وهو يقول: «لا أحد يعلم متى أعني ما أقول فعلاً.»

بعد ست ساعات، وقد تجاوزت الساعة الثانية بعد منتصف الليل كان دافيد يضغط بإصبعه على شفتيه اللتين ارتسمت عليهما ابتسامة سخيفة وقال بصوت هامس: «صه، يجب أن لا توقظي التنين.»

هزت مايلين رأسها بارتباك وهي تتهادى تحت ثقل ذراعه الممدودة حول كتفيها فيما هما يترجلان من السيارة باتجاه البيت. وأعادت عبارتها للمرة العاشرة وهي تتعثر على بلاط الممر الأمامي وقالت: «التنين لا يزال نائماً.»

خاطبت نفسها، فيما تحاول العثور على المفاتيح في داخل حقيبتها، لقد قمت بذلك بالفعل حتى التشوش. واتكأت عليه في محاولة لإسناده إلى الحائط على يمين الباب. إلا أنه لم يلبث أن عاد لينزلق إلى الأرض وبعناد لا يرحم. فأسرعت للإمساك به من تحت ذراعيه وراحت تشد به إلى الأعلى وبطريقة عمودية.

بحركة خرقاء حاول أن يمد يده حول كتفها مجدداً ولكنه لم يفلح إلا في إزاحة شعرها وتحريره من الدبابيس، فطار الزر الذي كان يربط فستانها عند الرقبة.

دفعت الباب برجلها إلى الوراء وهي تئن تحت ثقل جسمه فيما كانت تحاول أن تسحبه إلى الداخل في محاولات يائسة. أسندته مقابل الجدار وحاولت تثبيته بيدها فيما امتدت يدها الأخرى لتضيء النور في الغرفة ثم تحولت مسرعة لإغلاق الباب وإقفاله خلفهما...

لينزلق مجدداً إلى الأرض، وهذه المرة انبسطت قدماه واتكأ ثقله على صدرها فيما لا تزال الابتسامة البلهاء مرتسمة على شفتيه، حتى وهو نائم.

تنهدت وهي تحرك رأسها وتتساءل كيف ستستطيع رفعه مجدداً.

تحولت لتضع حقيبتها وشالها على الطاولة في البهو ولم تتمالك نفسها حين رأت الياس متكئاً بصمت إلى باب غرفة الجلوس. وتراجعت قليلاً إلى الوراء وقلبها يخفق خفقاناً سريعاً لما أثار وجوده من إجفال.

كان واقفاً، لا ينبس ببنت شفة، وقد غادرت الحيوية عينيه، وخلا وجهه من أي تعبير. وكانت أخاديد عميقة تشق طريقها عبر شعره وكأنه مرر يديه خلاله مرة إثر مرة. وتدلت خصلات عنيدة من شعره الداكن فوق جبهته. نظر إلى حيث كان دافيد مسترخياً على الأرض مقابل الحائط وهو غافل عما يحيط به ثم عاد لينظر إلى شعرها المنبوش وفستانها المتجعد.

وضعت يدها على شعرها بطريقة لا شعورية قائلة بارتباك ظاهر: «لقد أصيب دافيد بإعياء مفاجىء.»

«ذلك واضح.»

انتظرت أن يكمل حديثه بيد أنها تحولت عنه وقد صار الصمت مربكاً بينهما ومضت لتنحني إلى جانب دافيد وجعلت تلمس خصلات شعره الداكنة وتردها إلى الوراء، ثم قالت وهي تتظاهر باللامبالاة: «هل ستساعدني لترفعه إلى الطابق الأعلى؟»

سمعت وقع خطواته وهو يقترب منها ورأت يديه

www.lillas.com/vb3

العريضتين، القويتين تمتدان وترفعان داڤيد. تنحت قليلاً من طريقه. نظر الياس إلى رأس داڤيد وهو يتدلى على كتفه ثم نظر إليها وسألها: «إلى غرفتك أم إلى غرفة الضيوف؟»

تنهدت قائلة وهي تغمض عينيها: «بلا مزاح، أرجوك. إني تعبة.»

«وما يجعلك تظنين بأني أمزح؟»

فتحت عينيها ونظرت إليه وهي تحاول أن تقرأ تعابير وجهه، إلا أن وجهه بقي خالياً من أي تعبير. تحولت أخيراً إلى إحدى الغرف الملاصقة لغرفتها في الطابق العلوي.

أضاءت نور الغرفة وأزاحت الغطاء عن السرير وتنحت جانباً من الغرفة فيما راح الياس يمدد داڤيد على الفراش ويخلع عنه حذاءه، وسترته، ثم غطاه برفق ونعومة يثيران الدهشة، وكأنه أباً يساعد ابنه الصغير في الإيواء إلى فراشه.

تراجع قليلاً إلى الوراء وهو يتمطى فكاد أن يصطدم بها. وصعقا لكونهما قد صارا متلاصقين. التقت أعينهما للحظة، ثم راحا ينظران إلى أسفل وكأنهما قد تملكهما الرعب لما شاهداه في نظراتهما.

أمسكت مادلين عن التنفس، فيما راحت تحدق في يده اليمنى التي باتت قريبة من يدها اليسرى حتى لكادت أناملهما أن تتلامس.

ارتعش بنانه قليلاً وكاد أن يلامس بنانها، وانقطع تنفسها وهي تنتظر وتنظر، وقد ملكتها الدهشة. أناملها ترتفع قليلاً باتجاه أنامله في حركة آلية. وبدت أناملهما

فجأة كأنها مستقلة في كينونتها، وهي تمثل مسرحية لا أحد منهما كان باستطاعته التحكم بها أو السيطرة عليها. وعندما لامست أطراف أناملها، وبطريقة عرضية، ربما، كانت نتيجة الاتصال مذهلة.

خمدت مادلين التنفس ورمقته بطرف عينها فرأت صدره يتقدم على نحو متقطع نحوها. بنظرة متفحصة إلى أعلى رأت التوتر حول ثغره وعينيه، والأخاديد المرتبكة في حاجبيه وهو ينظر إليها عاجزاً عن التحكم في ما كانت يده تقوم به.

راحت أنامله تصعد إلى أعلى يدها وهي تعبر التجاويف في أوتار يدها، ثم أحاطت بالمعصم برفق حتى شعرت بصعوبة في التقاط أنفاسها. وانفرجت شفتاها قليلاً من الدهشة وفي محاولة لاستعادة قليل من الهواء فيما كانت عيناها واسعتين. فتحتهما على وسعهما مذهولة.

أدار الياس ظهره سريعاً وقد جعل رأسه ينحني فوق كتفيه وقال بصوت أجش مسموع: «اللعنة عليك.»

مدت يدها تلمسه وقد انعقد حاجباه في حيرة وقبل أن تلمس يدها ظهره قال: «اخرجي من هنا.» فجمدت في مكانها ويداها لا تزالان ممدودتين في حركة بلهاء.

عندما لم تتحرك أمسك بيدها وراح يجرها إلى الباب ودفع بها بقوة إلى غرفتها. فنظرت إليه وقد أخذت منها الدهشة مأخذاً.

كان يحملق بها وكان خضرة عينيه كادت أن تتسكب باتجاهها وسألها ببرودة قائلاً: «ما الذي جعلك تظنين أني كنت سأنهي ما بدأه غيري؟»

www.liilas.com/vb3

سكن تعبيرها وشحب لونها وهمست قائلة: «لا أصدق أنك قلت ذلك.» وأسرعت إلى غرفتها فدخلتها وأغلقت الباب وأقفلته وراءها. ولم تدر كم مضى عليها وهي مستندة إلى الباب تحملق في الظلام حين سمعت نقراته على خشب الباب.

سمعته يقول لها من خلال خشب الباب الذي كان يخنق صوته: «مادلين. مادلين، أرجوك. علينا أن نتكلم. دعيني أدخل.»

أخذت تخاطب نفسها وهي تبتسم بمرارة. دعيني أدخل. تلك كانت المشكلة منذ البداية. أدع شخصاً يدخل. ما كان يجب أن أفعل. تركت نفسي أشعر من جديد، وما كان يجب علي ذلك.

«مادي؟ مادي! دعيني أدخل!»

من دون أن تصدر صوتاً راحت تكوّن فوق شفتيها كلمات أغنية ساخرة للأطفال، ثم دفنت وجهها بين يديها.

الفصل العاشر

كان الصباح في منتصفه حين استفاقت مادلين على صوت الرعد وهو يدوي بعيداً. فتمددت ساكنة في فراشها لبرهة من الوقت وهي تحدق في السقف وذهنها شارد ومرتبك. ثم نهضت أخيراً ونهضت من فراشها واجتازت الغرفة حتى وصلت إلى النافذة ونظرت إلى الطقس المكفهر في الخارج بعد أول عاصفة مطرية. كان كل شيء يبدو مبللاً وكئيباً، حتى حديقة الورد، غرقت في الوحل، وكان ذلك مفيداً لها على ما يبدو.

راحت ترتدي ثيابها بحركة بطيئة تعوزها الحيوية والنشاط فيما كل أحاسيسها مخدرة، حتى أنها لم تعد تجرؤ على مقابلة إلياس بعد الذي جرى في الليلة الماضية. ماذا يهم لو ظن إلياس أنها عزمت على مشاركة الصيد المخدع، أو أنها متحجرة القلب إلى درجة أن تقبل بديل عنه في اللحظة الأخيرة؟ فمجرد إقدامها على عمل كهذا يجعل منها مومساً وامرأة تحيا حياة البغايا. واعتبارها كذلك أفضل، في الوقت الحاضر، من الاستغراق فيها والرثاء للحال الذي هي عليه. امرأة وحيدة تحاول التمسك بأذيال خيالاتها ونزواتها في محاولات يائسة. لقد سلب لبها ذلك الوهم في كونها هي وإلياس باتا جزأين من وحدة متكاملة، وعاجزين عن مواجهة تلك القوة التي تدفع بهما وتشد عراهما... إلا أن ذلك لم يكن سوى خيالات

www.lilas.com/vb3

شبحية لطفل غير محبوب لم تتح له فرصة النمو بعد.

تجهمت أساريرها وهي تحاول التركيز في مضمون تلك اللحظات المشتتة، حين شعرت بشيء أشبه بسلك كهربائي يربطها به... راحت تخاطب نفسها قائلة، إنك ترغبين في إقامة نوع من الإتحاد الروحي الباطني مع الياس، إلا أن ذلك لم يكن موجوداً قط بالنسبة له.

لقد أرادك إلى جانبه، لأنك الشخص الوحيد الذي يعزف موسيقاه كما يرغب في سماعها، ثم بدأت في تعقيد الأمور بطلبك المزيد، حتى أكرهته على نبذك مرة بعد مرة، وازداد الوضع سوءاً وانعكس ذلك نشازاً في العزف. ابتسمت إبتسامة حزينة لأنها لم تعد قادرة على إسماعه ما كان راغباً في سماعه منها.

قطبت جبينها ورفت أهدابها سريعاً وهي تتجهم تموعها فيما كانت ترتدي ثيابها. وضعت ساقيها في جوربين من النسيج الصوفي الناعم وارتدت كنزة صوف رمادية سميكة طويلة، ثم مشطت شعرها وتركته يتهدل حيثما أراد. أما عيناها الرماديتان فكانت تعوزهما الحيوية، تحولت عن النظر إليهما في المرآة بعد أن رمقتهما بنظرة خاطفة.

بدا المنزل تحت رحمة العاصفة الهادرة في الخارج كان كئيباً وقاتماً كمزاجها وهي تهبط السلم إلى الطابق السفلي، ثم باتجاه الضوء الشاحب الصادر من المطبخ امتدت يدها لا شعورياً لتلمس بعض الأشياء القائمة في طريقها. الطاولة الأثرية في البهو وإناؤها الفارغ من زهور الربيع، والخشب اللماع لهيكل الباب المؤدي إلى

المطبخ. أشياء أخرى لم تدرك وجودها إلا منذ أسبوع، وستبقى عالقة في ذهنها حتى آخر أيامها.

أحست بقلبها يثب من مكانه وهي ترى الياس جالساً إلى طاولة المطبخ.

كان مرتدياً زي الركض السميك من عنقه إلى كاحله. وكان يبدو متوعداً في أساريره، كتلك الطبيعة المكفهرة الموحشة التي كان يحدق إليها من خلال النافذة. إلا أنه بالنسبة لها كان يبدو أيضاً حاملاً للوعود. كان هناك شيء ما خلف ذلك القناع البارد المخادع الذي كان يغلف وجهه به... شيء ما دافيء ومليء بالحيوية وبالتحديد شيء له قيمة. فقد كان على هذا النحو، شبيهاً بحديقة الورد، وراحت تتساءل إذا كانت قد رأت أياً منهما يزهر.

كانت ذراعاه معقودتين على الطاولة ويداه تحيطان بكوب من القهوة الساخنة. أدار وجهه بسرعة لدى ولوجها الغرفة وتدلت خصلة من شعره الأسود فوق جبينه على شكل فاصلة. حيته برقة: «صباح الخير.» وعبرت الطاولة إلى حيث كان إبريق القهوة جاثماً على الرف. وسألته: «أين بيكي؟» وأحست بثقل عينيه عليها فيما كانت تتلمس بارتباك ابريق القهوة.

أجابها: «اليوم يوم سبت، وهي لا تأتي في نهاية الأسبوع.»

رمقته بنظرة فوجدت أنه عاد ليركز اهتمامه على سيول الأمطار المنزلقة على النافذة الزجاجية، ثم ملأت كوبها من تلك القهوة السوداء الحادة واتكأت على الرف.

«أعتقد أن دافيد لن يصحو من نومه قبل ساعات.»

www.liilas.com/vb3

هز برأسه وهو غافل عنها، ولاحظت كم كان يبدو تعباً رأت بقعاً شاحبة تحت عينيه، وإنه غير حليق، وشعره أشعث وكأنه لم ينم جيداً تلك الليلة. وثبت من مكانها حين أدار وجهه ليجدها تحملق إليه.

قالت بسرعة في محاولة لإخفاء ارتباكها: «تبدو تعباً».

«وأنت أيضاً».

هزت بكتفها وراحت تنظر إلى قهوتها وهي تتساءل بماذا تجيب، غير أنه قال بصوت أجش ونبرة رتيبة وكأنه في صدد استظهار خطبة عن ظهر قلب: «أريد أن أحدثك عن ليلة البارحة وعن الموسيقى، وما تعتريني من مشكلات في تأليفها. فكل شيء مرتبط ببعضه بعضاً. كما تعلمين ولكني لم أشأ أن أعترف بذلك.»

تشبثت مادلين بكوبها بيأس وأخذت تنظر إليه وكأنه يحوي أسرار العالم ولم تستطع أن تنظر بعيداً ثم غمغمت قائلة: «أعلم ذلك. لست مضطراً لأن تقول شيئاً فأنا السبب في عدم قدرتك على الكتابة.»

بقي صامتاً لوقت طويل، وجازفت واختلست نظرة إليه وتوهجت وجنتاها بارتباك.

أسند ذقنه بين يديه ونظر من خلال النافذة ثم قال: «إنها غلطتي، لا غلطتك. كان يجب أن أحتاط لذلك منذ اليوم الأول الذي التقيتك فيه في شقتك. فقد كان الأمر واضحاً...»

توقف قليلاً وقد تجهمت أساريره وتابع قائلاً: «... أن الأحاسيس ستقف حاجزاً أمام أية علاقة عمل بيننا.»

أغمضت مادلين عينيها لبرهة، وقد أحست بعذابها حين راحت تفكر كيف أنهت حياتها بسرعة وشوق كلفيين لتقعد

يه. وقد بنت حياتها كإحدى المعجبات الملتاعات والتائقات نظرة ورعاية من ذاك الذي كان سبباً في هيامها وافتتانها.

عض الياس على شفتيه وهو يراقبها ثم قال: «لقد كنت أحسب أن غياب المشاعر هو السبب في كل المتاعب، ولكن الليلة الماضية اكتشفت أنني مخطئ، أليس كذلك؟» قال ذلك ثم استطرد: «أنا أعرف أن ذلك لا يفيد بشيء، لكن الليلة الماضية بعد وضوح كل شيء... تهدم السد المنيع، ولم أستطع التوقف عن الكتابة، بقيت طيلة الليل أعمل حتى أنهيت أغنية العنوان.»

حاولت مادلين أن تبقي مشاعرها دفينة في أعماقها. فجأة لم يعد يهمها شيء مهما كان، العزف هو كل ما يريد منها، ولم يعد يهمها إذا تركت فلذة من قلبها في مكان مؤقت معه، فكل ما كان يهمها هو اليوم وربما غداً. أن تخرج وإياه الموسيقى إلى حيز الوجود، وأن تبقى إلى جانبه أطول مدة ممكنة.

تابع الياس قائلاً: «ليس علينا أن نشعر المشاعر والأحاسيس نفسها تجاه بعضنا بعضاً كي نصنع الموسيقى العظيمة، يا مادلين. وحتى لو كانت الموسيقى هي كل ما نقوم به سوية، فهي أكثر بكثير مما يستطيع الناس تحقيقه في حياتهم.» كانت عيناه وهو يتكلم بليغتين في نظرتهما العميقة باخضرارها، لطيفة وناعمة بما تكنه من احساس غير مقروء.

إبتلعت ريقها بصعوبة وحاولت أن تحبس دموعها. هذا معنى كلامهم، عندما تكلم الشعراء القدامى عن الحب الذي لا يعوض ولا يجازى. فهذا ما يعتبرونه آلام التضحية بكل شيء... في تقديم حياتك وكبريائك وآخر معاقل احترام

www.lillas.com/vb3

الذات على مذبح التضحية [illegible] من أجل أن تكون قريباً من الإنسان الذي لا يمكن أن تعيش في سلام بعيداً عنه حتى وأنت تعلم أن شعورك لن يكون متبادلاً.»

راحا يحملقان ببعضهما بعضاً فيما حل صمت مطبق واضح مرتبك بينهما حتى كاد أن يملأ الغرفة ويخنقهما معاً. دخل دافيد فجأة إلى الغرفة بسرعة وفي [illegible] صاخب، مثل ولد صغير بريء يخرج من الكنيسة. لا كرجل كان يعاني من الآثار [illegible] التي يسببها الإسراف في الشراب. وألقى التحية عليهما قائلاً: «صباحاً صباحاً.»

حاولت مادلين أن تستجلب ابتسامة بارعة إلا أنها أخفقت في ذلك.

ضحك دافيد وهو ينظر إليها وقال: «[illegible] على [illegible] ليلة البارحة؟»

هزت برأسها وهي تشير إلى الياس [illegible] انحناءة ساخرة وقال: «شكراً يا صديقي [illegible] منك، يا ملاكي.» مشى إلى حيث كانت جالسة [illegible] ركبتيه قبالتها وقد بدت قسمات وجهه [illegible] ساخر وأردف قائلاً: «لقد تصرفت بفظاعة [illegible] كل الحق في أن تغضبي مني... مع أنني و[illegible] على احتمال ذلك إذا حصل.» وارتفعت [illegible] وهما تستميحان المغفرة منها، غير أن [illegible] بتيار خفي من الندم الحقيقي.

قالت بهدوء: «لا بأس عليك، يا دافيد [illegible] ويبتسم بابتهاج وقد ترك فيها شعوراً بالـ[illegible] جديته.

قال وهو ينظر إلى الياس: «الحقيقة، أنها حاولت أن تضيع رشدي ثم حاولت أن تصل إلى مبتغاها مني. لكنني قاومت حتى النهاية. وأظن أنك فخور بذلك.»

هزت مادلين رأسها بارتباك ظاهر. أما الياس فرفع أحد حاجبيه الداكنين وقال بجدية ظاهرة: «الحقيقة هي أنه في كل تلك السنوات التي عشناها معاً، لم ألمحك أبداً بهذه الصورة.» وبعد تردد بسيط حدج دافيد بنظرة متفحصة وتابع قائلاً: «لماذا ليلة البارحة بالضبط؟»

توقف دافيد عن [illegible] لحظة، ثم أخفى ارتباكه بضحكة متوترة وهزة كتف ملؤها الاستنكار وقال: «أعتقد أنه هناك دائماً أول مرة في كل شيء.» ووثبت مادلين من مكانها الذي [illegible] في حياته؟» عبر [illegible] في خطوتين [illegible] بجسمه في الأعماق وهو يفتش في [illegible] ملأ أحضرت بعض الصحون، يا ملاكي؟ [illegible] من الأعمال لنناقشها معاً. ومناقشة الأعمال [illegible] مع الأكل.»

[illegible] على نحو متواصل، فيما هو يحضر العجة، [illegible] المواضيع المتشابكة، سائلاً نفسه تارة، ومجيباً [illegible] وهو غافل عن صمت رفيقيه.

[illegible] إلى الطاولة. دافيد على رأسها والياس [illegible] المتقابلتين وتغيرت نبرة دافيد [illegible] أكثر جدية.

[illegible] قائلاً بكآبة وهو يقطع العجة بشوكته [illegible] اللقمة قبل إدخالها في فمه: «حسناً يا

ولـدي، هـل أنتما جاهزان لكي تصبحا ...
اختلسا، الياس ومادلين، نظرة خاطفة إلى ...
بعضاً ثم تحولا إلى دافيد وهما حريصان على ...
تعبيرهما طبيعياً وسأله الياس قائلاً: «عمّ تتكلم ...
ضحك دافيد وهو يهز حاجبيه وقال: ...
لتحقيق هدف وجعلنا أثرياء.» وتابع قائلاً: ...
تعبر الناحية المادية اهتمامك يا الياس، ولكن ...
حول هذه الطاولة يملك حساباً في المصرف ...
إلى ذلك، كلما كانت الدعاية للفيلم وللاسطوانة ...
مبيع أشرطة التسجيل وازداد استماع الناس ...
وهذا كل ما يهمك، أليس كذلك؟»

أذعن الياس لفكرة دافيد بهزة مترددة من ...
«وما هو شأني أنا ومادلين في أن نصبح ...
بصدد تسجيل الأغنية للفيلم وليس الشهور ...

ابتسم دافيد ابتسامة النصر قائلاً: ...
ستمثلان. لقد أخبرت المنتج عن ملاكي هذا ...
تظهرا على غلاف الألبوم. ألم تلتقها بعد ...
الصحافة اجتماع في الهواء الطلق. فالفن يحاكي ...
آخر المعزوفة، وعندما ينتهي كل هذا ...
العاطفي الأكثر تشويقاً منذ...» توقف وربت ...
الخالي من أية ردة فعل، ثم قال مجدداً: ...
ملاكي؟»

جلست ساكنة تنظر إلى وجه الياس ...
خفيفة: «ماذا تعني بعبارة الفن يحاكي الحياة ...
من كتفه، ثم ابتسم بارتباك قائلاً: «لم ...

... شخص سوف يعتقد أنها كانت.» استمر في
... إلى أن انتبه إلى عدم إدراكها لما كان يتفوه به
... يا مادلين. الحبكة، مؤلف موسيقى مزاجي
... عاصفة مع عازفته...»

... نظرتها فقال لها: «ألم تعرفي، بعد ما هو
...»

... برأسها وقد خدرتها هذه المصادفة
... فهذا ليس بالفن الذي يحاكي الحياة،
... الذي يسخر من خيالاتها ونزواتها الكامنة في
... وهمست بسرعة قائلة: «لا أستطيع ذلك.»
... من طرف عينها وهو يهز رأسه وينظر من
... وقد استدق فكه.

... حديثه في محاولة لإقناعها: «لا تكوني
... مصورة، ولا تنسي أنها ستدر عليك كثيراً
... صورة دعائية بارعة كهذه ستفتح المجال
... من الأسطوانات.»

... عميقاً وحاولت أن تبتسم إلا أنها أخفقت.
... من طريقة لإفهام دافيد من دون أن تصرخ
... كيف سيفهم أن الشيء الوحيد الذي كانت
... هذه، هو أن يقع الياس في حبها؟ ولن
... الياس وهو يدعي أنه يحبها أمام
... بأنها خدعة. كان أكثر مما تستطيع
... إلى يديها وهما ترتعشان بتوتر فوق
... أن تستجمع قواها.
... أمامها مجدداً. كانت أكثر رباطة جاش،

www.lillas.com/vb3

فيما كانت ابتسامتها باردة، وقالت: «إذا كان
مصلحة العمل فعلاً، يا دافيد، لأن أطبع على
أن تستخدم أحداً غيري... يكون أكثر ملاءمة
أزياء، ربما.»

هز دافيد رأسه وقال: «لا، فالمؤلف الحقيقي
الحقيقية... هما اللذان سيكونان وراء نجاح
وتسويقه. بالإضافة إلى ذلك فقد حضّرنا
وقد وعدت المنتج بأنكما وافقتما على الاشتراك
باعه الفكرة، يا ملاكي.»

شعرت مادلين بأن أحشاءها تغادر جسدها
في داخلها شيء. وسوف تصبح مثل
وردت بحدة قائلة: «ما كان يجب أن تفعل
هز الياس برأسه وهو يحملق فيها
تشحب تحت تأثير نظراته الخضراء الباردة
عن الأمان والراحة في وجهه لم تعثر إلا على
ومسحة من الغضب.

رد دافيد قائلاً: «إنها مجرد صورة يا
تعني شيئاً. فلا يتوجب عليكما أن
بعضاً...» تردد قليلاً وعيناه تتحولان من
قاطعه الياس فجأة قائلاً بنبرة شبيهة
الضارب من المعدن بالفولاذ البارد: «إنها
استخدام عارضة. فلن يفقه الجمهور الفرق.»

هزت مادلين برأسها وهي مستعجلة
«وجهي ليس ملائماً للتصوير ويمكنك أن
غيري ممن يستوفون الشروط.» وفجأة

الياس وهي تقول: «بيكي مثلاً.»
بها، من دون أن ينبس ببنت شفة، فيما
بالكلام مقاطعاً: «بيكي؟ إنك تمزحين.»
«وهل تعرفها؟»
أعرف عنها. فالياس يتكلم عنها معظم
شحبت مادلين قليلاً لهذه العبارة، فيما تابع
لكننا لم نلتق بعد ولكن لم يخطر على
نستخدمها لعمل كهذا.»
وهي تحاول إخفاء ألمها وقالت: «ولما لا؟
رائعة. إنها واحدة من أجمل النساء اللواتي
حياتي. سيفرح المنتج لدى وضع صورتها على
وإني واثقة من أنها ستفعل ذلك بملء خاطرها.»
الياس الباردة، وعندما نظرت إليه هز كتفيه.
حديثه إلى دافيد: «ربما ستوافق على
يهم من يحتل الغلاف، طالما أن الجمهور

دافيد، ولكنه، بعد تقييمه لمدى التوتر بين
تنهد مستسلماً وقال: «حسناً، إذا كنتما
بعين الاعتبار، فسنفعل ذلك.» ثم هز كتفيه
كان غير منطقي.
فجأة قائلاً: «هيا بنا، سأتبعك حتى وصولنا
ثم نتوقف عند بيكي حيث يمكنك الاجتماع بها

وعيناه الداكنتان تلمعان في فوضى وقال
في محاولة ظاهرة، ملبية نوايا الفسق

www.liilas.com/vb3

والدعارة، إلا أن جواب الياس أرجعه التهقري [illegible] مرعوباً.

«لا تفكر فيها أبداً هكذا، يا دافيد.» فيما كانت [illegible] تلتمعان بدفاع ظاهر. وتابع قائلاً: «ابعد بيكي [illegible] الأشياء.»

رفع دافيد أحد حاجبيه وكأنه قد تعرض [illegible] «أعلم ذلك. لطالما كنت أعلم هذا.»

أغمضت مادلين عينيها وتحولت [illegible] أن تتألم كثيراً لدى سماعها الياس يقول [illegible] كانت تعلمه منذ فترة طويلة. إلا أنها تألمت [illegible]

كان دافيد واقفاً بقربها وهو يبتسم لها [illegible] ومد يده وأخذ ذقنها بين راحته بأصابعه [illegible] «اتصلي بي، يا ملاكي، في أي وقت.» وتحولت [illegible] الياس قائلاً: «لا تمانع في أن تتصل بي مادلين [illegible]

نظر إليها نظرة باردة وقال: «يمكنها [illegible] لها. لنخرج الآن من هنا.»

بقيت مادلين جالسة مكانها وهي ساكنة [illegible] بسيارتيهما.

فكرت بحزن، لو كان لي أصدقاء لكنت [illegible] ولكنا تبادلنا أطراف الأحاديث وضحكنا و[illegible] ثم لكنت شعرت بتحسن. وقفت بعد [illegible] طاعنة في السن ومشت ببطء ومن دون حيوية [illegible] ردهة الاستقبال، وجلست هناك في مواجهة [illegible] ووضعت يديها على لوحة المفاتيح. وأخذت [illegible] في الخارج كان المطر لا يزال ينهمر.

الفصل الحادي عشر

[illegible] مادلين الأسبوع التالي وهي تحاول أن تنساب [illegible] إلى داخل عالمها الخاص الذي كان ملاذها قبل أن [illegible] حياتها. فلقد كان مكاناً آمناً ومريحاً ولم تكن [illegible] بأن يتلف إلى داخله. والحقيقة أنها كانت، [illegible] السنين، قد تعلمت أن تعمل جيداً فيه. وهي تشعر [illegible] خلف جدران اللامبالاة المنيعة إلا أن الرجوع إلى [illegible] عالمها الخاص، كان أصعب مما تصورت.

[illegible] موظفة، وبالتحديد عازفة بيانو مأجورة تعمل [illegible] هذا ما كانت تقوله لنفسها باستمرار. لكن [illegible] في الغرفة نفسها كان شيئاً في غاية الإيلام. [illegible] أن يشعر الشعور نفسه تجاهها، لم يخمد بريق [illegible] أو يقلل من تأثير حضوره. ولم تستطع منع [illegible] التحليق في نشوة عارمة، في كل مرة كان يدخل [illegible] وهو مقطب الحاجبين، مشدوداً وهو يكظم [illegible] اللامقروء، وهكذا شأنه منذ أن أحبطت [illegible] على غلاف الأسطوانة.

[illegible] العالم أجمع كان أسهل من أن تنسى الياس. كانت [illegible] مدى أيام الأسبوع الفائت، قد تحولت إلى ظلال [illegible] حاضر دائماً عند نهوضها من نومها ويغيب [illegible] المساء. كانت بيكي قد اتخذت موقفاً أكثر عدائية [illegible] مثل الياس. غير أن مادلين لم تكن التعيد [illegible]

www.lilas.com/vb3

موقفها أية أهمية. إن موقف بيكي كان بالنسبة [illegible]
بطنين ذبابة غاضبة سرعان ما كانت تتلاشى [illegible]
حلول الربيع لم يهز أوتار مشاعرها إلا قليلاً [illegible]
تلك السعادة التي كانت تجدها في حديقة الورد [illegible]
إلا أنها ظلت تعتني بحديقتها هذه وترعى [illegible]
صباح، فيما كان الياس عاكفاً على عمله في [illegible]
تعد مادلين تشعر بالفرح وهي تقع على [illegible]
الحياة بين يديها. وحل مكان هذا الشعور [illegible]
عملها هذا ليس إلا لغرض منفعي، وكأن إعادة [illegible]
الحياة عمل ممل، خال من الفرح ولكنها وظيفة [illegible]
أن تضطلع بها لسبب لم تكن تدركه أو تتذكره.
أما الشيء الوحيد الذي كان يهز أوتار [illegible]
باستمرار بتحطيم الحواجز الباردة التي كانت [illegible]
حولها، كان النمط الموسيقي الجديد الذي [illegible]
يؤلفه. إنها موسيقاه من دون شك... وأصبحت [illegible]
بشكل مذهل... لكن، نوعاً ما لم تكن تستطيع [illegible]
بدقة. لأنه يختلف اختلافاً شاسعاً عن كل ما [illegible]
الماضي. وللمرة الأولى لم تشعر بأن موسيقاه [illegible]
مباشرة وأنها هي الوحيدة التي تستطيع أن تشعر [illegible]
روحه المعذبة وترجمتها إلى العالم. ما زال [illegible]
مكانه فيما كانت تعزف موسيقاه... غير أن هذه الموسيقى [illegible]
باتت موجهة لجمهور أكبر، جمهور كبير [illegible]
في يوم الأربعاء، أدركت مادلين ما لم يدركه [illegible]
بعد... أن هذه الموسيقى الجديدة ليست لهما وحدهما [illegible]
صوت تلك الموسيقى ملك للجميع لأنها تتكلم [illegible]

[illegible] الحزن لكل من أحب وتاق إلى الوصال وفقد [illegible]
[illegible] كانت تلك الموسيقى من النوع الذي يمكن عزفه أمام
[illegible] الجماهير فتهز كيانهم، كل واحد بمفرده، لأنها كانت
[illegible] التجربة الإنسانية المشتركة بين جميع البشر.
[illegible] صباح الجمعة، جلست مادلين أمام مرآتها في
[illegible] الصغيرة، التي باتت تشعر بأنها صارت حقاً غرفتها
[illegible] وراحت تحدق في انعكاس صورتها في المرآة
[illegible] في تفكيرها. لقد تغيرت تلك الصورة قليلاً، في
[illegible] الوقت القصير الذي أمضته في مقرها الجديد. وكان
[illegible] يتمتع بقوة جديدة وقد نهل من الهواء العليل
[illegible] عضلاته من جراء التمارين. وكانت هالة من
[illegible] تحيط بها، بديلاً عما كان ينتابها من شحوب
[illegible] أسبغت الشمس على بشرتها لوناً جديداً وسرقت
[illegible] شعرها، في إظهار جديد للتوازن الذي تحافظ
[illegible] عليه. أما عيناها فلم يتغير لونهما الرمادي، إلا
[illegible] خاليتين من الأحلام.
[illegible] شعرها بتأنٍ حتى صار أشبه بموجة لطيفة فوق
[illegible] وارتدت على الفور فستاناً قطنياً زهري اللون
[illegible] الرقبة والكتفين. وفكرت أنه يشبه ما كانت بنات
[illegible] ترتدين أو ما يلبسنه نساء نيويورك في نزهات
[illegible] بارك. كان زياً مناسباً لأعمال البستنة.
[illegible] تكن تنوي العمل في الحديقة في ذلك اليوم.
[illegible] عدة، وضعت فرشاة الشعر على الطاولة بتأنٍ
[illegible] إلى الطابق السفلي.
[illegible] بيكي بنظرة اشمئزاز ظاهر وهي في المطبخ

تحرك شيئاً ما، موضوعاً فوق الموقد. وقالت [illegible] وهي تشير إلى فستانها الزهري: «لا يليق [illegible] البستنة.»

ابتسمت مادلين ابتسامة خفيفة ونظرت إلى [illegible] وكانت هذه هي المرة الأولى التي تراها فيها [illegible] ولا غرو أن يكون الياس قد أعجب بها. [illegible] الشاحب اللون وقميصها المصنوع من [illegible] المتين يقللان من عافيتها وجمال جسدها [illegible] السوداوان وحتى من دون مساحيق [illegible] بقوة سحرية غريبة. شعرها كان مردوداً إلى [illegible] عقصت بضع خصلات رطبة قفزت لتتدلى [illegible] وتمتمت قائلة: «ستبدوان رائعين أنت والياس [illegible] الأسطوانة.»

التمعت عينا بيكي بالتماعة غضب وقالت [illegible] به إثارة الشك: «لقد قمت بترتيب كل هذا [illegible] يرام، أليس كذلك؟ ما كان ليكلفك أي [illegible] على الغلاف، إلا أنك لم تزعجي نفسك للقيام [illegible]

أرخت مادلين فكها ورفت أهدابها بطريقة [illegible] تتساءل ما الذي جعلها تغضب، بدل أن تكون [illegible] مع الرجل الذي تحب، لأخذ صورة سوف تكون [illegible] العالم، قد افتتنها. قالت وهي غير مصدقة [illegible] ستفرحين لذلك، يا بيكي.»

ردت بيكي قائلة: «إنني سعيدة لذلك، و[illegible] أجل الياس.»

قالت مادلين وقد تجهمت أساريرها قليلاً [illegible]

[illegible] فرق كبير في من سيقف معه طالما أن [illegible] سيظن بأنك عازفته، ولن يؤثر ذلك على نوع [illegible] رقم المبيعات...»

[illegible] ضحكة سخيفة. وأجابت ببرودة هذه المرة: «لا، لا [illegible] سيكون هناك فرق كبير.» وانتشلت الملعقة من [illegible] الموقد وراحت تحرك بغضب ما كان داخل الإبريق. ثم [illegible] أنك ستذهبين غداً إلى جلسة التصوير. فقد [illegible] المنتج يريد سماع أغنية اللحن الرئيسي [illegible] تعزفيها.»

[illegible] مادلين بشيء أشبه بالغثيان وهمست وقد [illegible] ملابسها: «لم يقل لي أحد بأن علي أن أذهب.»

[illegible] بيكي بنظرة وقد غادرت وجهها إمارات الغضب [illegible] في وجه مادلين الحزين ثم قالت: «لا تقولي لي [illegible] لعزفك في الغد أمام المنتج؟»

[illegible] مادلين عن ابتسامة خاوية وقالت: «لا، [illegible] ثم طافت بنظرها حول الغرفة بجمود ظاهر [illegible] نفسها قائلة بأنها ستعالج أمر الغد عندما [illegible] موسيقى الياس في غرفة محتشدة [illegible] وهي تفتح روحها لم يرد أن يسمع... [illegible] من الوقت أغمضت عينيها ورفعت يدها [illegible] في ما بين حاجبيها وكأنها تدفع [illegible] إلى الوراء، لكنها لا تجهر بمضمونها. وسكن [illegible] وهي تنظر إلى بيكي مجدداً وتقول: «أعتقد [illegible] السيارة إلى القرية اليوم، هل تظنين بأن [illegible] أستعملها؟»

www.liilas.com/vb3

هزت بيكي كتفها قائلة: «أستطيع أن أحضر [illegible] من القرية، وأجلبه لك نهار الاثنين، فعلاً [illegible]»

نظرت مادلين إلى الأرض وقد عضت على شفتها [illegible] بأسنانها ثم قالت: «في الواقع... كنت أفكر بشراء [illegible] الطلاء للمنزل...»

راقبت الملعقة التي كانت بيكي ممسكة بها [illegible] الابريق ثم استدارت في حركة بطيئة وهي تنظر إلى [illegible] قائلة: «هل تريدين طلاء البيت؟»

ترددت مادلين ثم أومأت برأسها قائلة: [illegible] المظلات وربما محيط النوافذ...»

ضاقت حدقتا بيكي ثم قالت: «ماذا تريدين [illegible] السماء؟»

نظرت مادلين بعيداً وهي تهمس في [illegible] بالفعل لماذا؟ فكيف يتوجب عليها أن تفسر شيئاً [illegible] مثل بيكي وهي التي تملك بيتاً، مكاناً [illegible]

لمرة واحدة في عمر الزمن، كانت مادلين [illegible] بصماتها على مكان ملك قلبها، قبل أن تكره [illegible] وتغيره كما فعلت بالأمكنة الأخرى، وأن [illegible] يشير إلى أن مادلين شميرز كانت هنا. [illegible] تغييراً. وأضافت قائلة: «إن البيت يحتاج [illegible] أن بيكي لن تلقه أبداً [illegible] الرئيسي [illegible]

وتابعت: «لقد أصبح معظم الخشب [illegible] قريباً إذا لم نبد اهتماماً بحمايته من الطقس»

«وما همك مما سيصيب البيت؟»

إرتعش أحد حاجبيها قليلاً وردت: «إنه [illegible]

[illegible] يترتب عليها أن تقوم بتجديد البيت، لأنها [illegible] تفعل ذلك فلن يقوم أحد به.

[illegible] بيكي بغضب وهي تعبر ظهرها نحو الموقد: [illegible] من الأفضل أن تسألي الياس قبل أن تقومي بأي [illegible]

[illegible] مادلين وهي تعبر أرض المطبخ باتجاه الباب [illegible] وقد جلبت معها فنجاناً من القهوة: «سأفعل ذلك.» [illegible] الوراء وكأنها تعنفها على هجرانها لها فيما [illegible] تمشي بسرعة باتجاه الاستديو. وملأت خياشيمها [illegible] الأرض المقلوبة حديثاً، ولاحقتها تلك الرائحة الذكية [illegible] الطريق وهي تعبر الممر والمرج الكبير. سوف أفتقد [illegible] وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة حزينة حين [illegible] وأغادر هذا المكان سأفتقد الكثير من الأشياء [illegible] رائحة الأرض الذكية هذه.

[illegible] وهي تقف قرب باب الاستوديو الثقيل وأخذت [illegible] ثم دفعته إلى الوراء فدار بصمت على مصراعيه. [illegible] يشعر الياس بقدومها. فقد كان مستغرقاً في أحد [illegible] وهو يجمع نغماته على لوحة المفاتيح بيد واحدة. [illegible] الأخرى ممسكة بذقنه ومرفقه مستند إلى [illegible]

[illegible] على هذا النحو من الاستغراق الفكري قبلاً: [illegible] وهو غافل عنها، لا يدرك أنها تنظر إليه. [illegible] موجة من الحنان غير المتوقع، يغمرها فجأة [illegible] المنظر.

[illegible] مرتدياً رداء أبيض قصيراً من [illegible] فيما كانت

www.lilas.com/vb3

ساقاه وقدماه عارية، وكانت خصلات شعره [illegible]
السوداء والمتشابكة تتدلى فوق جبينه ومؤخرة [illegible]
ولشدة ما أدهشها بابتسامته الكئيبة وهو [illegible]
المفاتيح في دندنة لأحد الألحان، الذي تبينت أنه [illegible]
تشويستكس.

خالت مادلين أن هذه اللحظة سوف تبقى [illegible]
ذهنها حتى آخر أيامها وهي تنظر إليه في [illegible]

قالت بهدوء: «أظن أنك عزفت هذه المقطوعة [illegible]

أدار وجهه نحوها لدى سماعه صوتها [illegible]
أن القناع الذي غلّف وجه الياس شيبرد لعدة [illegible]
يزول ليحل محله قناع جديد هي بصدد مشاهدته [illegible]
الأولى. فقد كانت عيناه في حيرة عند [illegible]
الزهري، وخالت أنها تعاني الاضطراب [illegible]
ينتابه أيضاً.

قال: «لم أرك قط في زيّ كهذا.»

ردت وهي تنظر إلى ردائه الوبري [illegible]
في لباسك هذا.» ابتسم لها ابتسامة جعلته يبدو [illegible]
جديد.

نظر إلى لوحة المفاتيح وهز رأسه بارتباك [illegible]
لقد خرجت لتوي من الحمام، ولسبب ما لم [illegible]
هذه الأغنية السخيفة من رأسي هذا الصباح [illegible]
إحدى أغنيات الأولاد القصيرة والسهلة في [illegible]
أتتذكرينها؟» وراح يضغط بلطف على [illegible]
مألوفة.

لم تعد تتذكر ما إذا كانت قد اجتازت الحجرة [illegible]

[illegible] البيانو بعد تردد لحظة، ووضعت يديها على لوحة
[illegible] المفاتيح. وكل ما كانت تعلمه أنها شعرت فجأة
[illegible] جنباً إلى جنب، وهما يبتسمان ابتسامة عريضة
[illegible] المفاتيح فيما تعالى من البيانو لحن مضاف على
[illegible] المصاحبة وكان ذلك أشبه بالسنفونية المختصرة.

[illegible] وكان النهاية كانت مدبرة [illegible] لقد أصعدا نغمة
[illegible] راحا يبتسمان فوق لوحة المفاتيح وهما
[illegible] بعضهما البعض لفترة تجاوزت حدود

[illegible] مادلين نظرها عنه وقد شعرت بإحباط، وعبست
[illegible] تنظر إلى الأيدي الأربع المرتاحة فوق المفاتيح. وبدا
[illegible] مربكاً. ثم أصبح خلال ثوان غير محتمل. قالت فجأة
[illegible] تفكير: «أريد أن أدهن مظلات النوافذ.»
[illegible] على المفاتيح وقال متعجباً: «ماذا؟»
[illegible] على شفتيها وقد احمر وجهها. وراحت
[illegible] أن تتحكم بصوتها وقالت: «المظلات، أريد أن
[illegible] المظلات لأنها متشققة وعارية في عدة أماكن،
[illegible] الخشب للعفن إذا لم يتول أحد الاهتمام به و...»

[illegible] نفسها وأغمضت عينيها فجأة وأخذت نفساً عميقاً
[illegible] ولم تستطع أن تتحول بنظرها إليه.
[illegible] إلى هذا تجديد البيت. لا أريد طلاء هذه
[illegible] تعفن وتهترئ».

[illegible] خصلات شعرها وهي تدير برأسها لتواجهه وقد
[illegible] عيناها الشاحبتان وشعرت بإحباط شديد. قالت

وهي تسيطر على صوتها لإبقائه ثابتاً: [illegible] وبين هذا البيت؟»

فأجابها ببساطة: «إنني أكره هذا البيت.»

عضت مادلين على شفتيها وقطبت جبينها [illegible] لضرب من الجنون في أن تكره مكاناً.» وتر[illegible] أضافت بتوتر: «فأنت لا تدرك كم أنت محظوظ [illegible] بيتاً كهذا. لو لم تملك بيتاً قط، لو لم يكن لك بيت [illegible] ادركت كم أنت محظوظ.» توقفت فجأة بعد [illegible] عيناه إلى الحياة، موجة براقة من الفضول [illegible]

سألها بسرعة: «ألم يكن لديك بيت؟» فيما [illegible] تمتدان إليها.

حولت يديها إلى حضنها وحملقت فيهما و[illegible] شفتيها بغضب وغمغمت قائلة: «لقد كان عندي [illegible] البيوت.»

«هل كانت أسرتك تتنقل كثيراً؟»

هزت برأسها عابسة وهي ترفض أن [illegible] «لم يكن لدي عائلة، وقد صرفت طفولتي [illegible] الرعاية... في الكثير منها.» وشرعت تنصت [illegible] تتهدم. وتلى ذلك صمت مطبق. ورفعت [illegible] بارتباك فرأته يحدق فيها. ثم يقول بهدوء: «[illegible] وكل البيت إذا أردت.»

الفصل الثاني عشر

استغرقت مادلين في تفكيرها فيما كانت تطوف [illegible] براينتون سكوير بحثاً عن طلاء لمنزل الباس. [illegible] نفسها قائلة إن ربات البيوت يقمن بأعمال [illegible] وكانت هذه الفكرة، على اقترابها من حدود [illegible] قلبها. ترفقت لتمعن النظر إلى واجهات [illegible] وابتسمت وهي تومئ برأسها لكل من كانت تلتقيه. [illegible] فترة من الوقت على الأقل، أنها باتت جزءاً من [illegible] وأن المدينة بدورها قد باتت جزءاً منها. في تلك [illegible] تحولت مادلين شمبرز، تلك المرأة الكئيبة [illegible] التي كانت تمقت النظرات الجانبية التي [illegible] بها المارة الغرباء والمتعجبون أبداً من [illegible] الخارجي الشاحب... وحلت مكانها صورتها في [illegible] الذي اقترن بلون وجنتيها. امرأة، [illegible] أنها قد تعجب بها ولم يعد هناك من أثر لهذه [illegible] الشاحبة، المكفهرة اللون، في انعكاس صورتها [illegible] واجهات المحلات ونوافذها.

[illegible] دزوود كانت بيكي قد انصرفت إلى [illegible] منعزلاً في الاستديو وأصبح البيت وما حوله [illegible] وحدها. استبدلت فستانها ببنطال جينز رث [illegible] ونزلت إلى الطابق السفلي لتبدأ بالطلي. [illegible] المطلات، بلونها الأخضر الشاحب والمتشظي

بالنوافذ الأمامية فجعلتها تبدو صغيرة رائقة [illegible]
مادلين، من دون سابق تصميم، أن تختار اللون [illegible]
اللماع لتغطي به اللون الأخضر. وراحت تتحادث [illegible]
نحو سخيف وصبياني وهي تبلل فرشاتها [illegible]
إحدى هذه المظلات. قالت وهي ممسكة [illegible]
«سيجعلك هذا تنتفض من سباتك؛ سوف ترى [illegible]
خالياً أو مهجوراً بعد اليوم. ستبدو مختلفاً [illegible]
تبدل، وكل هذا بفضلي أنا». وراحت تعمل [illegible]
ومحبة وهي تحول البيت، كما حولت [illegible]

عندما انتهت من طلاء المظلات كان [illegible]
ووجهها النحاسي قد امتلأ ببقع بيضاء. [illegible]
شعرها وقد بللها العرق متدلية فوق جبينها [illegible]
زحفت إلى بيتها المساني في الجهة الغربية [illegible]
وتراجعت مادلين قليلاً إلى الوراء وهي ممسكة [illegible]
المبللة، ومالت برأسها وهي تنظر إلى البيت [illegible]
لتقييم عملها، وابتسمت لما قامت به يداها.

أنشأت أشعة الشمس تنزلق على النوافذ التي [illegible]
وهي تمد اذرعها البيضاء، وكأنها ترحب [illegible]
حجارة القرميد التي كانت شاحبة فيما [illegible]
ومتوهجة بلونها الوردي وكان للمنزل [illegible]
احمرتا، وهو مرتبك قليلاً بجديده.

أطرت على ما قامت به و[illegible]
محاولة لتخفيف الألم المبرح في عضلات [illegible]
راحت عيناها تطوفان بسعادة فوق المنزل [illegible]
هذا التشابك في الشجيرات المهملة التي كانت [illegible]

[illegible] والممر المؤدي إلى البيت في فوضى شديدة.
[illegible] على الفور، وضعت علبة الطلاء جانباً واندفعت إلى غابة
[illegible] وعندما فرغت من عملها كانت يداها قد اقترنتا
[illegible] بفعل التراب العالق عليها فيما راحت عضلات
[illegible] ذراعيها تصرخ مستغيثة طالبة النجدة. إلا أن نظرة
[illegible] إلى واجهة المنزل أنستها ألمها وعذابها. كانت
[illegible] الغنية بعطرها كغريبة الجدي والقرانيا تزين
[illegible] مع مجموعات من زنابق الوادي العطرة حيث
[illegible] فوق ترابها طبقة من النشارة والتبن لوقاية جذور
[illegible] الغضة. تراجعت مادلين القهقرى قليلاً، مرة
[illegible] وهي تتنهد، وقد وضعت يدها على موضع الألم
[illegible] ظهرها، ثم راحت تمسح يديها الملطختين بالتراب
[illegible] سروالها.

[illegible] أصبح رائعاً، فكرت مادلين ثم شعرت
[illegible] ترتفعان عن الأرض فيما كان الياس يتكلم من
[illegible] «يا إلهي يا مادي، في البدء كانت موسيقاي، ثم
[illegible] والآن هذا... يبدو أن كل ما تلمسينه يعود إلى
[illegible]

[illegible] مادلين بقلبها يثب لبرهة ثم يعود إلى مكانه في
[illegible] وفكرت بأسى، ما خلا أنت يا الياس، فلن أستطيع
[illegible] فقط بيكي تستطيع ذلك.

[illegible] وهي تنظر نظرة عجلى أخرى إلى البيت: «إنني
[illegible] المكان».

[illegible] ضحكة حزينة خافتة وقال: «أنت وأمي. كانت أمي
[illegible] الشمس تشرق وتغيب لأجل هذه القطعة الصغيرة من

الأرض.» ونظر إليها فجأة، وقد اعتراه تجهم بسيط وقال: «ما الذي يجعلك تحبين هذا البيت حباً جماً [illegible]»

نظرت مادلين إلى تلك الأرض التي كانت تغطيها [illegible] وشفتاها مطبقتان وقالت: «عندما كنت فتاة صغيرة [illegible] أحلم في أن يكون لي بيت... بيت لا اضطر إلى مغادرته [illegible] نظرت مجدداً إلى البيت وتنهدت بعمق ثم أردفت: [illegible] يبدو حسناً لهذا البيت في شكله.»

التزم الياس الصمت للحظة إلا أنها كانت تشعر [illegible] نظراته عليها. وقال: «قلت إنك كنت تتنقلين [illegible] رعاية...»

أجابت وهي تصحح كلماته بحركة آلية: «لقد [illegible] لدي الكثير منها. فأنا لم أمكث في مكان واحد [illegible] من الوقت.»

إستغرق في صمته، وكأنه يتخيل تلك الطفولة [illegible] إستمرارية فيها لا في الأشخاص ولا في المكان.

جعلها الصمت تشعر بالتوتر. هذا يعني أنه يفكر [illegible] قالت: من المحتمل أنه يشفق عليها. وهي لم [illegible] تحولت نحوه فجأة وقد تهللت أساريرها بابتسامة [illegible] مشرقة وقالت: «لقد قلت لك لماذا أحببت البيت، و[illegible] أن تقول لي لماذا تكرهه.»

جمدت أساريره، وأخذت خضرة عينيه تغرق في [illegible] بسيط فيما كانت هي تراقب كل ذلك. [illegible] واهنة، وقد اعتراها قليل من الألم وقال: «لقد [illegible] هنا وأنا طفل أعيش مع والدتي، وخلت أني [illegible] سعيداً هنا، وكأن السعادة كانت مكاناً وليس [illegible]

[illegible] بنزهة وقد استدق فكه فيما ظنت مادلين أن [illegible] قد تحولتا إلى حجرين أخضرين ثم تابع: «وهكذا، [illegible] زوجتي لتعيش هنا بعد زواجنا. فكرهت المكان [illegible] الانعزال والانفراد فيه وخلصت أخيراً إلى كرهي [illegible] احضارها إلى هنا. ثم وجدتها في السرير مع شخص [illegible] أحسبه صديقاً... في السرير عينه الذي تنامين فيه. [illegible] آخر يوم أطأ فيه أرض هذا المنزل... إلى أن [illegible]

[illegible] مادلين بألمه وكأنه يعمل في أحشائها، وكان هذا [illegible] بالألم مألوفاً لديها. فقد كانت تعلم علم اليقين ما [illegible] أن يعطي الانسان قلبه لشخص ما ثم يكابد من جراء [illegible] الشخص الآخر. وقد شعرت بتلك عشرات المرات، في [illegible] كانت تغادر فيها بيتاً من بيوت الرعاية.

[illegible] في خطوط صورته الجانبية القاسية وفي [illegible] الدفاعي ورأت في وجهه صورة الطفل الذي عاند [illegible] ليكون شجاعاً وهو يدعي بأن النبذ لا يؤلم ولا [illegible]

[illegible] الحاجة إلى الراحة ملحة وكأنها صارت ألماً يعمل [illegible] فقد كانت ترغب في أن تدفع بيديها إليه وتضغط [illegible] وجنتيه لتلطف من ذلك الألم الذي شدهما إلى [illegible] في رابطة وثيقة منذ اللحظة الأولى التي [illegible] رجع صدى يأسها في موسيقاه. وكانت تريد أن [illegible] إلا أن المسافة التي كانت تفصل بينها وبين أي [illegible] كانت بعيدة. وارتجفت يدها إلى جانبها ثم [illegible]: «أنا آسفة.»

www.liilas.com/vb3

أمسك الياس بكتفيها وأدارها برفق حتى صارت في
مواجهته، وسألها وهو غير مصدق: «آسفة؟» بالله عليك يا
مادي، ولم الأسف؟ انظري إلى ما فعلت. لقد جعلتني [illegible]
على النحو الذي كان عليه حين كانت أمي لا تزال على قيد
الحياة، حين كان هذا البيت يعمر بالحب. لقد جعلتني أدرك
كم كنت أحمق في السماح لذكرى واحدة [illegible]
سنوات من أجمل أيام عمري في هذا البيت» انحنى [illegible]
الأمام ليطبع قبلة على جبينها قائلاً لها: «شكراً على كل
ما فعلته، يا مادي.»

نكست رأسها وراحت تحدق في حذائها الصغير [illegible]
وقد اعتراها الارتباك: «كل ما فعلته هو طلاء المطبخ [illegible]

راح الياس يحدق بحنان في قمة رأسها [illegible]
وعندما تكلم أخيراً كان صوته أشبه بالهمس: [illegible]
فكرة في من تكونين، أليس كذلك؟»

رفعت مادلين عينيها بسرعة لتلتقي بعينيه [illegible]
تجفل لما رأته من عمق الإحساس فيهما.

كانت شفتاه تهتزان قليلاً كرفرفة جناحي [illegible]
اقترب منها رويداً وهو يبتسم لها. ولم يكن [illegible]
المخيف. فهي لم تكن قبلة رجل لامرأة على [illegible]
ناعمة حنونة لأب، أو أخ، أو صديق قلبه عامر [illegible]
وقد كان خلواً من الشهوة والرغبة، على الإطلاق [illegible]
مادلين أهدابها بسرعة لتخفي الدموع في عينيها [illegible]
ما تزال تحبسها طيلة حياتها.

سألها بهدوء: «من المفترض أن تكون [illegible]
كذلك؟»

[illegible] مادلين برأسها غير قادرة على الكلام.
«وهل يستطيع صديقان أن يذهبا إلى العشاء سوية؟»
[illegible] شفتاها مع بدء ابتسامة. أما هو فحدق إليها
[illegible] سنحتفل بالموسيقى وبالبيت وبالصداقة.»

[illegible] مادلين ثم ارتدت فستانها الأزرق الفاتح وهو
[illegible] ليس لمناسبات كهذه ولا تستطيع أن تسمح لنفسها
[illegible] هذه المناسبة بأكثر من لقاء مع صديق.
[illegible] شعرها بلامبالاة ظاهرة، جعلته ينكسر فوق
[illegible] وراحت تنظر في انعكاس صورتها في المرآة وقد
[illegible] أساريرها قليلاً. بدت عيناها مختلفتين، كان
[illegible] من اللون الأخضر موجودة خلف اللون الرمادي
[illegible] وراحت تخاطب نفسها قائلة إذا كانت العيون حقيقة
[illegible] فعيناي تشعان بأشياء كثيرة. ثم عبست قليلاً
[illegible] وتحولت سريعاً عن المرآة.
[illegible] أن ترى الياس في آخر السلم، وعندما لم تجده
[illegible] أن تراه في المطبخ، حيث كان يشعر بارتياح
[illegible] هناك، ولشد ما أدهشها حين رأته أخيراً وهو
[illegible] في الردهة الصغيرة وهو مرتاح في كرسي هزاز
[illegible] ممدودتان إلى الأعلى. «ها أنت إذاً.»
[illegible] وابتسم قائلاً: «وهل تركت ورائي طريقاً من
[illegible]
[illegible] عالياً وأجفلت عند سماعها صوت قهقهتها. كم
[illegible] عليها من الوقت وهي لم تستمع بعد لصوت ضحكتها؟
[illegible] هنا أبداً قبل الآن. هذا كل شيء.»

www.liilas.com/vb3

رمق البيانو الكبير في الزاوية، وعيناه غائمتان
ثم قال: «لقد تلقيت درسي الأول على البيانو في هذه الغرفة بالذات. كنت فظيعاً. وكانت أمي العازفة الوحيدة في العائلة.»

مشت مادلين إلى الجدار حيث عُلّقت مجموعة من الصور ونظرت إلى واحدة بالتحديد تحمل صورة ولد ... ضحكة شيطانية وشعره الأسود يتدلى فوق ...

استدارت وسألته: «هل هذا أنت؟»

أومأ برأسه قائلاً: «الشخص الثاني هو أمي.»

إبتسمت صاحبة الصورة لمادلين وقد كانت ... واقفة وسط حديقة الورد وقد أحاطت بها ... الياس عبر الغرفة: «إنها تشبهك قليلاً في هذه ...»

«لا، فهي جميلة.»

«وأنت أيضاً، يا مادلين، ألا تعلمين بذلك؟»

كانت الغرفة غارقة في السكون حتى كادت ... خفقان قلبها.

تنهد وتنحنح: «إني جائع، وأنت؟»

تحولت إليه وهي تبتسم وراحت تتساءل إذا كان ... اليوم الذي لن تشعر فيه نحوه بأي شيء لدى ... كان مرتدياً سروالاً داكن اللون، تفصيله لا ... وقميصاً أبيض كان يتمايل عليه مع كل حركة ... بين شعره الأسود وبشرته الفاتحة أكثر ... نسخت لون بشرتها عنه أكثر مما نقلتها عن ...
«إني جاهز.» أومأت برأسها وهي تمشي ... الممدودة.

... نظرت بكآبة وهي تمشي عبر البيت وهما يداً في يد. ... على شفتها السفلى فيما هما يخرجان من البيت ... السيارة. وكانت تعلم ماذا يحدث حين تبدو الأشياء ... على هذا النحو.
... سرعان ما تتلاشى.

www.liilas.com/vb3

الفصل الثالث عشر

تناولا، مادلين والياس، العشاء في مطعم
صغير مكتظ بالزبائن وبمنأى عن أعين السا
شوارع القرية الخلفية. وقال لها الياس إن إسم المطعم
ليس وارداً في الدليل إلا أن المسافرين كثيراً ما يعثرون
عليه. وأضاف: «أعتقد أنه سيعجبك.»

كما سائر المطاعم الإيطالية في المنطقة، كان
المطعم بسيطاً في خدمته واحتفائه بالزبائن. فلا شمعدانات
موضوعة في قناني الشيانتي، ولا شراشف
اللون ولا جدران مزخرفة حتى الإزعاج ولا
مشدودة. كان داخل المكان متقشفاً في بساطته
كان كناية عن طاولات خشبية مع كراسيها
وهناك. أما لونها فكان داكناً والأضواء خافتة.

قادها الياس عبر شلة من الساهرين، كانوا يتناولون
عشاءهم، إلى طاولة شاغرة قرب المطبخ وقال
هنا أكثر هدوءاً.»

راحت مادلين تتنشق رائحة الثوم والبهارات
التي تسيل اللعاب وقالت: «إنني أتنشق رائحة
يكن منه إلا أن كافأها بأحدى ابتساماته الساحرة.

لم تمض دقائق خمس حتى حضر عمال المطبخ
على ما يبدو أعضاء في العائلة نفسها... إلى
للترحيب به، وكأنه ابن أو أخ ضلّ منذ زمن بعيد

حين رأت هذا الرجل الرصين المتحفظ في
قد صار هدفاً لعواطفهم. وما أثار دهشتها أكثر أن
الواضح بالزائر. اتسعت دائرته لتشملها هي كونها
جلست إلى الطاولة بعد أن أصبحا بمفردهما وقد
وجنتاها فيما راح الساهرون يرمقونها بنظراتهم
تقبيلاً وعناقاً.

بارتباك ظاهر وقد لاحظ انزعاجها: «إنني
حصل. فالسكربيلو هم كالعائلة وهم في غاية...

مادلين أن تبتسم وهي تتذكر ذاك الرجل الضخم
ضحكته العريضة المشعة وهو يبتسم لها قائلاً: «إنني
على كلام الياس. فالعائلة ليست إيطالية، لسوء
إلا أنني أوافق على كلام الياس.»

تمتمت وهي لا تزال تنعم بهذا الإطراء
في مضمونه مع أنها لم تكن تدري كيف ترد
. ركز الياس عينيه الخضراوين على عينيها
الدهشة عندما تكلمت بلغة إيطالية متكسرة وهي
من المعانقات الفرحة الصاخبة من السكربيلو.
أدري أنك تتكلمين الإيطالية.»

قائلة: «إنني أتكلم الإيطالية المتعلقة بالأكل. هذا

جورجيو، ذاك الرجل الضخم والذي حاز على
بعد اطرائه المفرط لها، زقاً من الشراب ذي اللون
إلى الطاولة وقدمه لها باحترام زائد قائلاً:
مخزوني الخاص. كان يجب أن تعلمني بمجيئك،

www.liilas.com/vb3

يا الياس لأفتحها قبل وصولك.» وابتسم ...
وهو ينظر إلى مادلين ثم قدم لها كأساً من ...
الأعلى وقال في نبرة آمرة: «إشربي، فكل ...
تبدأ مع الشراب.»

احمرت وجنتاها بذاك اللون الأحمر ...
الياس عنها قائلاً: «إنها عازفتي يا جور...
عشيقتي.»

قال جورجيو وهو يتخذ ساعياً لتلبية ...
الآخرين: «إنها مسألة وقت.»

راح الياس ومادلين وبانزعاج متساو ...
بالتحديق بما يحيط بهما، ثم التقت عيونهما ...
طائران مذعوران وقد اندهش الأول لرؤية ...
الياس حداً لهذا الإرتباك القائم بابتسامة ...
رجاء منها وقال: «لا سبيل لإصلاحه ...
عنيد.»

ابتسمت مادلين وقد ارتخت عضلات كتفها ...
هو دائماً هكذا؟!»

هز الياس كتفه قائلاً: «لم أحضر إلى ...
امرأة.»

رشفت مادلين من كأسها وهي تتساءل ...
ويبكي إلى هذا المطعم قبلاً؟

عندما راحت تنظر في عينيه ...
بقليل من الحزن. هكذا ظنت. كان ضوء ...
عينيه كبقع صفراء من الحرارة تتوسط أحد ...
غابة خضراء باردة.

... لا تتكلم إلا عن الموسيقى. وعندما انصت إليك
... وأنت تعزفين مما أصنعه من تآليف، أخال أنك
... أكثر من أي شخص آخر في هذا العالم...»

... فيما تابع الياس قائلاً: «... إلا أنني لا
... عنك. لم أكن أعرف أنه لم يكن لديك عائلة حتى
...»

... بحركة متوترة وقالت: «ليس هذا بالشيء
... بشكل عابر.»

... ليتبين قليلاً ومتطفلين بعض الشيء وقال:
... كان عندك الكثير من البيوت...»

... مازلت تتصلين بالعائلات ... هل أنت قريبة

... على الفور غير أنها كانت باردة
... وقالت: «في الواقع، لم أقم أبداً في بيت واحد لمدة
... تسنح لي الفرصة لأن أقيم علاقات حميمة
... الياس مصعوقاً فيما أضافت مادلين مدافعة:
... هكذا. لا تشعر بالأسف علي. لدي حياة حلوة

... ظاهر: «لا أشعر بالأسف لما أنت عليه الآن يا
... أشعر بالأسف لطفولتك... لهذه الطفلة التي ما
... أسألك. طفلة تقع في غرام البيوت لأنها تخشى أن
... غرام أشخاص.»

... مادلين عن التنفس، وأخفضت نظرها، فيما
... نها ترف بسرعة. إنه يعلم كثيراً ... الكثير.

قالت في سرها. ثم ردت بحدة غاضبة: «أنت من يجب [illegible]
يتكلم. لقد كنت تكره البيوت للسبب نفسه».

فاجأها عندما ضحك ضحكة خفيفة ونظرت [illegible]
يبتسم لها ثانية، ثم قال: «ربما هذه هي مشكلتنا [illegible]
ربما لأننا قريبان من بعضنا، ونشبه بعضنا [illegible]
كثيرة». اسودت عيناه فجأة وخفض بصره وقال [illegible]
كيف تجري الأمور بينك وبين دافيد؟».

دهشت مادلين لهذا التحول المفاجئ في [illegible]
المحادثة وهتفت قائلة: «دافيد، لم أحدثه [illegible]
في ذاك الصباح بعد...»

تحول برأسه وهو يكشر قائلاً:

«... بعد هذا الصباح الذي تصرفت فيه [illegible]
عبارته هذه بغمغمة ظاهرة. ثم تابع قائلاً: «إني [illegible]
أنك ما زلت تتحدثين إلي بعد تلك الأشياء [illegible]
قلتها لك تلك الليلة في غرفة دافيد [illegible]
لتصرفي هذا، ما عدا ذلك...» عضّ على شفتيه وقد [illegible]
جملته قائلاً: «مهما كانت علاقتك مع دافيد [illegible]
شأني».

أجابت: «لست على علاقة مع دافيد».

حملق بها بصمت لبرهة، وقد جمدت قسمات [illegible]
بهدوء: «لقد تكلمنا، أنا وهو، ونحن في طريقنا [illegible]
بيكي. أعتقد أنه واقع في غرامك».

ابتسمت فجأة وبطريقة مثيرة للمشاعر [illegible]
من النوع الذي يحب جميع الناس. وهذه [illegible]
كالتنفس بالنسبة له».

[illegible] قائلاً: «ربما، إلا أن هذا يبدو مختلفاً. حتى أنني
[illegible] أراه».

[illegible] مادلين من جلستها. ففكرة أن يقع في غرامها
[illegible] ما كانت غريبة عليها وسخيفة، حتى أنها كانت أن
[illegible] وهي تسمعها جهاراً وسألته فيما ترفع حاجبها:
[illegible] في أن نتوقف عن هذا الحديث؟».

[illegible] صوته بارداً فجأة: «بالطبع، فأنا لم أقصد
[illegible]».

[illegible] على محتوى كأسه برشفة واحدة، ثم ملأ الكأسين
[illegible]

[illegible] العشاء بصمت نسبي، والسبب في ذلك أن مجرد ذكر
[illegible] أقام حاجزاً غير مرئي بينهما، والسبب الثاني كان
[illegible] أن جورجيو كان كثير الحضور إليهما حتى أنه لم
[illegible] مع الوقت ليختليا مع بعضهما بعضاً.
[illegible] جورجيو لهما فيما كانا يغادران: «تعالا مجدداً».
[illegible] على وجنتيها قائلاً: «إننا أصبحنا عائلة واحدة
[illegible]

[illegible] طريق العودة إلى روزوود جلست مادلين جانبياً في
[illegible] في السيارة كي تستطيع رؤية الياس وهي تشعر
[illegible]

[illegible] على حق، بالطبع، في داخلها، ما تزال تلك الفتاة
[illegible] التي تبحث يائسة عن عائلة، وقد أعطاها
[illegible] ولهذه الليلة على الأقل، الوهم بأنه صار لها
[illegible] الشعور بالإنتماء كان قد أحاط بها مثل دثار
[illegible] وقد أخذ يشعرها بالأمان.

قال لها: «إنك تبتسمين!»

شعرت بنظرته قبل أن يعيد نظره إلى الطريق [illegible] أمامه وقالت: «أتعتقد ذلك؟»

«نعم. وهل يؤثر الأكل الإيطالي فيك هكذا؟»

قالت وهي تشعر بابتسامتها تتسع: «فقط عند [illegible] «إذاً، فسنذهب إليه مراراً.»

إلا أن مادلين لم تأبه لجوابه هذا إذ كان على [illegible] يقوله الناس في محطات كلامهم وقد كانت تلك [illegible] بالنسبة لها مجرد وعود للمستقبل. وإذا لم يكن قد [illegible] عناه من وراء تلك الكلمات فقد تخيلت أنه فعل [illegible] ادعت لنفسها أشياء كثيرة مؤخراً... كتخيلها [illegible] قد صارت ملكها عندما كانت تشتري الطلاء... و[illegible] قد عنى ما عناه حين قال إنها من العائلة... ولعل [illegible] أنها تستطيع أن تحصل على الياس إلى الأبد؟

استدارت في مقعدها وراحت تحدق فيه وقد [illegible] على شفتيها إمارات ابتسامة خفية. لماذا كانت [illegible] أن تفعل ذلك قبل اليوم؟ لماذا تركت كبرياءها [illegible] تنكر قسمات رجل أحبته. تلك الذكرى التي كانت [illegible] طويلاً إلى ما وراء الحدود الضيقة المختصر [illegible] سألها: «ما الخطب؟»

فأجابت وقد انفرجت شفتاها عن ابتسامة [illegible]

أرخى حاجبيه على شكل محير [illegible] العودة إلى روزوود... إلى البيت. على الأقل [illegible] راحت مادلين تراقب تنهداته، وحركات [illegible] المفقود، وكل تلك الظلال التي كانت تمر [illegible]

[illegible] القاسية والمشدودة. وكانت فكرة السماح لنفسها [illegible] على شيء كهذا تكاد تخنقها.

[illegible] كأنهما أتيا على نهاية الموعد الأول. فقد فتح الياس [illegible] وأشار إليها بالدخول وهو يرتبك على العتبة قائلاً: «[illegible] أستطيع أن أدخل لبرهة؟» كانت ابتسامتها سريعة [illegible] مشرقة وقالت: «بالطبع، فهو منزلك.»

[illegible] برأسه قائلاً: «لا. وعدتك بأنه سيكون بيتك طالما أنت [illegible]»

[illegible] بلطف إذ أن ذلك كان جزءاً مما كانت تتخيله: [illegible] إذن إنه بيتنا.»

[illegible] تدخل عتبة البيت حتى راحت تفرك ذراعيها وهي [illegible] برد المساء.

[illegible] الياس قائلاً: «الجو بارد، أليس كذلك؟»

[illegible] الرطوبة. يلزم لهذا البيت بعض الوقت كي يجف بعد [illegible]»

[illegible] نحوه فجأة وفي عينيها حدس طفولي: «وهل [illegible] تساعد؟»

[illegible] حاجبيه متعجباً وتلطف وجهه في ابتسامة رعناء [illegible] لم أجلس مقابل المدفأة لسنوات.»

[illegible] أجلس مقابل مدفأة. قط.»

[illegible] عيناه بعينيها ومن دون سابق انذار مد يده وراح [illegible] برفق خدها بظهر يده. وقال بلطافة: «هذه الليلة [illegible] تجلسين.»

[illegible] مادلين تراقبه بتعجب صامت، وهي جالسة على

www.lillas.com/vb3

الكرسي الهزاز الذي كان يجلس الياس عليه قبل الآن وهو [illegible]
يضع الحطب في المدفأة. وكان مشغولاً في وضع [illegible]
الأشجار فيها وكأنه لم يعد يدرك نظراتها. وضاقت عيناها
الرماديتان فيما راحت ألسنة اللهب تلتهم عيدان [illegible]
وتنير خلفيته. بانت قسمات جسده تحت قميصه [illegible]
تدغدغ اللهب المتراقص. بدا جسده يلمع بلون [illegible]
القماش الأبيض الناصع.

جلست مادلين مصعوقة وهي تتذكر الخطوط [illegible]
لكتفيه اللتين لم يقع عليهما نظرها قبل اليوم [illegible]
التنفس وهي تظن أنها تراه عارياً وتتساءل لماذا [illegible]
وهي تنظر إليه بوقاحة؟

فاجأها حين وقف فجأة ومسح يديه على [illegible]
استدار ليواجهها. وبدا كأنه يوناني وهو واقف [illegible]
والنار تتكسر من حوله، ووجدت أنها لا تستطيع [illegible]
نظراته.

لم تستطع تمييز قسماته فيما النور خلفه. [illegible]
قال: «نريد بعض الشراب.» كان كأنه روح [illegible]
جسدها تتكلم وليس انساناً من لحم ودم.

تنهدت بعمق عندما غادر الغرفة ووقفت وهي [illegible]
تستعيد هدوءها. وراحت تأمر رجليها بأن تتحركا [illegible]
واهنتين بغرابة وهي تظن أن مجرد سيرها قد [illegible]
الأرض. ومشت مرتين قرب النار التي كانت [illegible]
تشعر بالنار تدغدغ عضلات ساقيها تحت حاشية [illegible]
وتوقفت فجأة وهي تواجه النار وقد أدهشها [illegible]
الذي كان ينتابها. تقوست شفتاها قليلاً وقد [illegible]

[illegible] لا تعرف ما تفعل جثت على ركبتيها
[illegible] شعرت بالدفء والنور يغمران وجهها.

بعد وقت، شعرت بحضوره فالتفتت لتراه واقفاً عند عتبة
[illegible] يحملق بتعجب صامت، ويداه مرتخيتان على جانبيه
[illegible] إحدى يديه زجاجة الشراب وفي يده الأخرى كأسان.
[illegible] راحت تخاطب نفسها قائلة إنه يجب أن تقول شيئاً ما
[illegible] تملأ عينيها بتاج رأسه الأشعث وخطوط جسمه
[illegible] القاسية، ولكن منظره جعلها بكماء. كانت عاجزة عن
[illegible] بأي شيء سوى أن تحملق به، فيما شفتاها
[illegible] منفرجتان في شبه دائرة مبللة.

[illegible] وهو شارد فيما كان صوته يتماوج في حنايا
[illegible]: «لقد أحضرت الشراب.»

[illegible] التنفس فيما كان يتحرك ببطء نحوها وعيناه
[illegible] عليها وشعرت بشيء كبير قادم صوبها لن تستطيع
[illegible] إذا سمحت له أن يقترب أكثر. فقد كانت البارحة
[illegible] أن تثب على قدميها وتطير. أما الليلة فلا. فقد
[illegible] تعيش حلماً. وفي الأحلام لا مستقبل ولا خوف مما
[illegible] وإنما اللحظة التي هي فيها.

[illegible] قربها ونظرت مادلين إليه وهي متعجبة من تلك
[illegible] التي كانت تنتابها من كونها امرأة مظللة برجل.
[illegible] خاضعاً بالركوع أمام قدمي رجل مثل ذلك. ولكن
[illegible] كان هناك شعور غريب من أن كل شيء كان
[illegible] مكانه وكان ذلك ما ينبغي لها أن تفعله. نظر إليها
[illegible] اللهب الأصفر يلمع في خضرة عينيه ثم ركع على
[illegible] وهو يواجهها ووضع الشراب والكأسين جانباً.

www.lillas.com/vb3

أخذ يديها بلطف وحنان وأدارها نحوه حتى تلامست ركبتاهما.

كانت غير واعية ليديه وهما تغادران يديها. وقد ... الوقت لذلك لأن أنامله كانت تفتح طريقها عبر ... شعرها الفضي وهي ترفعه بعيداً عن عنقها وارتعشت ... وهما تلامسان الشعر في أعلى عنقها وأغمضت ... وهمست قائلة: «الياس» وكانت هذه العبارة ... مفاجئاً.

تمتم بصوت أجش قائلاً: «قوليها مرة ثانية يا ... قولي إسمي.» وفتحت عينيها على وسعهما لما ... صوته.

هفا قلبها في صدرها وهي تتذكر تلك الخرافة ... التي تقول بأنها إذا تفوهت باسم أحدهم فسوف ... روحه أو يقبض على روحها. هزت برأسها ... تنبس ببنت شفة وقد شعرت فجأة بالخوف فقال ... قد لاحظ ما كانت تشعر به: «لا تفكري به يا ... بالغد وماذا سيحدث، أو ما سيجلب لنا الغد ... ستكون عليه في هذه اللحظة.»

أخذت يديها بيديه وأمسكتا بهما بقداسة ... أمسك بيديها في تلك الليلة الأولى. تلك الأيدي ... كانت تحمل الشعر من عقله إلى موسيقاه ... المفاتيح. وهمست باسمة إذ كان ذلك ما كان ... «الياس.» ورددت مراراً وتكراراً: «الياس. الياس ...

... صادي.» تمتم باسمها بصوت أجش وبدأ ... أعلى ذراعيها.

كانت عيناه فوق وجهها تتلمسان وكأنهما تأخذان ... عينيهما منها ولم يحرك ساكناً أو ينبس ببنت شفة للحظة ... وكأنه كان يريدها أن ترى ما يمكن أن يكون صدى لكلماته.

وراح يهمس باسمها وهو يلامسها فيما قلبها يخفق ... وجسمها يرتخي.

www.liilas.com/vb3

الفصل الرابع عشر

استيقظت مادلين وهي تشعر بلمسة لطيفة على [illegible] ممدوداً حتى حاجبيها.

وناداها صوت أشبه بالهمس فانقلبت على جنبها و[illegible] حاجبيها وهي تريد أن تغرق مجدداً في تلك الحلم [illegible] كانت هي والياس مستلقيين قرب النار.

فتحت عينيها على وسعهما ووجدت نفسها [illegible] في رماد الموقد. وراحت تستعيد احساساتها رويداً رويداً [illegible] وأحست بالبرد فأدركت للحال أنها نامت من دون [illegible] رأته من خلال النور الشحيح الوافد من النافذة [illegible] على ركبتيه قربها وهو لا يزال في ثياب الأمس التي [illegible] جعدة ومتغضنة، فيما كان قميصه مفتوحاً على [illegible] وقال: «إنه الصباح، يا مادي.»

راحت تفتش عبثاً حولها عما تغطي به نفسها [illegible] به من البرد. ولم تكن تحلم قط بأنها ستنهض من فراشها على هذا النحو بعد أول ليلة أمضياها [illegible] كان من المفترض أن يحضنها بين يديه وهما [illegible] بأشياء غير ذات بال. كان العاشقان يتبادلانها [illegible] الصباح.

أصلحت من جلستها وطوقت جسمها بيديها [illegible] تفرك ذراعيها بشدة وقد بدأت القشعريرة تسري [illegible]

تناول الياس بطانية من على كرسي مجاور و[illegible]

[illegible] نفسها في حركة عابثة سريعة لم تكن تحتاج إلى مناشدة [illegible].

[illegible] وهو يربت عليها بلطف تحت ذقنها وكأنها طفل [illegible] دون أمره إلى اخراجه من السرير بشتى وسائل [illegible] الخداعة. ثم قال: «علينا أن نسرع، يا مادي. علينا [illegible] في وقت قريب لنصل في الوقت المناسب إلى [illegible]

[illegible] عيناها الرماديتان إلى لون أسود قاتم ومدت [illegible] أناملها لتلمس به زاوية فمه. واحمرت غاضبة وهي [illegible] ما فعله بها ذلك الفم في الليلة الماضية. وابتسمت [illegible] راحت عيناها تطوفان في وجهه الذي لم يكن حليقاً. [illegible] ظواهر لحية تتكون حول فكيه فيما كان شعره [illegible] يتدلى فوق حاجبيه.

[illegible] خصلات شعرها الطويلة الفاتحة عن وجهها [illegible] وهو يلمسها بينما انزلقت البطانية عن كتفيها [illegible] على وسطها. وأخذت بيده وهي متعجبة من جرأتها [illegible] ضغطت بها على صدرها.

[illegible] بين أسنانه بصوت أشبه بالفحيح قائلاً: «يا إلهي، [illegible]» وضاقت حدقتاه، وقد اصطبغتا بلون أشد سواداً [illegible] عضلات وجهه وبرزت خطوط متغضنة بين [illegible] وهمس بصوت أجش قائلاً: «لا نستطيع أن نفعل [illegible] أن نسرع.» ارتسمت على ثغره ملامح ابتسامة [illegible]. ثم وقف ونظر إليها قائلاً: «ستأتي بيكي إلى [illegible] لحظة. ولا نريد أن تقف على ما نحن فيه. أليس

www.liilas.com/vb3

كانت ابتسامتها مرتبكة وكأن الأرض قد غارت
فيما بدأت أحلام الأمس بالتلاشي وحلت
الواقع المرير. ففي الأمس لم يكن هناك موسيقى ولا
ولا مستقبل، ولا حتى ببكي، وها قد انتهت تلك
وشعرت ببرد شديد يلفحها وكأنه بات دخيلاً على
الدافئ». وحاولت أن تقف وهي لا تزال تتشبث

راحت تنظر إلى وجهه الجميل في تقسيماته
فيما كانت عيناه الخضراوان تتعملان في
مثيل لها. وكأنه لم يكن قد خدع امرأة فيما مضى
مشارف أن يستقل الثانية. فقد كان من المستحيل
ذلك الفكر المختبئ وراء هذا الوجه. ذلك الفكر
وراء هذه الموسيقى الجميلة قادراً على الخد
ومع الأسف، قام بكل ذلك. وكانت مادلين شريكته

حاولت بكل ما أوتيت من قوة الإرادة أن تكرهه
كان بمقدوره أن يدخل قلبها ويقلبه بيديه
كره ذاتها إذ كانت عاجزة عن كرهه.

لم تكد يده تلمس كتفها حتى تراجعت متعثرة
ووجهها ملتوٍ وهي تجاهد في حبس دموعها

ذهل الياس، فحاول أن يمد يده إليها مجدداً
تراجع مذعوراً الذي صرخها به قائلة: «لا! لا
جمد في مكانه وهمس قائلاً: «يا إلهي! يا
الخطب؟»

عضت على شفتها وبلعت بريقها لتخنق
حلقها. ثم قالت: «ما كان يجب أن يحدث ما حدث
البارحة... لم يكن معك حق...» انخفض صوتها

الذي كان يكبح عواطفها فأرخت العنان لفيض من دموعها.
قال الياس وقد جمدت تعابيره في شبه صدمة: «أنا
آسف يا مادي. لقد خلت أنك تريدين ذلك أيضاً... لم أقصد
إيلامك...» حاولت عيناه أن تخرقا وجهها وكأنهما لا
تصدقان ما كانتا تشاهدانه خلال تجربة الألم. وهمس قائلاً
بشفتاه ما تكادان أن ترتعشا: «يا إلهي» وراح يرنو إلى
وهو يمد يده إلى حاجبه المتغضن. وعندما نظر
إلى أعلى كانت عيناه قد فرغتا من كل المشاعر
والأحاسيس.
ومن دون أن ينبس ببنت شفة استدار وانصرف.

بقيت مادلين تحت رذاذ الماء الدافئ لأطول مدة ممكنة
تحاول أن تتخلص من فائض الدمع والأحاسيس التي
شعرت بقوة... تلك الأحاسيس التي كانت تهدد بالسيطرة
عليها.

كانت تخاطب نفسها، إنها تستطيع مواجهة كل ذلك.
كانت تفرك بشرتها حتى تحولت حمراء وقد ظنت أنها
هذه قد تخفف من وجعها الذي كان يعصرها في

فكرة مرافقة الياس وبيكي في السيارة نفسها قد
إلا أنه لم يكن هناك متسع من الوقت لاتخاذ تدابير
وترتيبات جديدة.

جففت جسدها بسرعة ومشطت شعرها المبلل ثم ارتدت
فستانها الذي كان يصل إلى أخمص قدميها والذي كانت
ترتديه في حفلات تلامذتها. رمقت صورتها المنعكسة في

www.liilas.com/vb3

المرأة بلا مبالاة فيما وضعت قليلاً من المساحيق على [illegible] وجهها. وتذكرت أن ذلك الفستان العالي عند الرقبة [illegible] يجعلها تبدو وكأنها في حداد. إلا أن ارتداءه في تلك [illegible] كان ملائماً.

كانت الرحلة إلى المدينة أشبه بكابوس كما توقعت [illegible] جلست في المقعد الخلفي بناء على إلحاحها وهي [illegible] بالنوم فيما راحت بيكي تحدث الياس في مواضيع شتى ابتداء بالهراء القائم في البلدة وانتقالاً إلى [illegible] الموسيقية لأحد الشبان من معارفهما.

كان الياس في مستهل الرحلة غاضباً وغارقاً في [illegible] غير أن أحاديث بيكي جعلته أكثر ارتياحاً. وعندما وصلوا إلى المدينة، شعرت مادلين بصداع لكثرة [illegible] عينيها في محاولة منها لمنع الأصوات القادمة إليها من المقعد الأمامي.

أوقف الياس سيارته في أحد المواقف [illegible] أرجاءه نور خافت وهتف: «ها قد وصلنا.» وأوقف [illegible] السيارة والتفت إلى الوراء لينظر إلى مادلين قائلاً [illegible] تزالين مستيقظة؟»

قالت وهي تتصنع التثاؤب: «تقريباً.» إلا أن [illegible] اقترن تصنعها هذا بالحقيقة. فتثاءبت فعلاً.

«إذاً، هيّا بنا.»

راحت مادلين تمشي وراءهما متباطئة وهي [illegible] مرغمة. الطريقة التي كان فيها الياس ينظر إلى بيكي [illegible] يا ترى يستطيع أن يلومه؟ فقد كانت أكثر جمالاً [illegible] بفستانها الأسود المتناغم مع تكاوين جسمها [illegible]

[illegible] بعنا وضعت عليهما من المساحيق في غاية الروعة والفتنة، فيما كان شعرها الأسود يتساقط حول كتفيها [illegible] الشلال الهادر، بألوانه السحرية في كل مرة كانت تفتل [illegible] رأسها.

[illegible] سيتم تصوير غلاف الأسطوانة في بهو المسرح حيث [illegible] سمعت مادلين موسيقى الياس لأول مرة، وكان ذلك إحدى [illegible] مفارقات القدر وسخريته. عندما اقتربوا من المسرح [illegible] تراجع الياس وبيكي إلى الوراء، وكانت مادلين هي أول من [illegible] من المشهد الفوضوي الذي غمر المسرح. حتى البيانو [illegible] الضخم بدا ضائعاً وسط الأضواء وعدسات التصوير [illegible] والصراخ والضجيج.

[illegible] تقدم شخص نحوها فجأة ويداه ممدودتان وكادت [illegible] أن تبكي وهي ترى تلك الابتسامة الوضاءة المعروفة [illegible] تبعث فيها الارتياح.

[illegible] حياها دافيد هاتفاً: «يا ملاكي»، فيما كانت ما تزال [illegible] مندهشة وهي تحاول أن تبتسم ابتسامة لا لبس فيها ولا [illegible] غموض.

[illegible] راحت تحاكي نفسها، انظري إليه فهل كان من الصعب أن [illegible] في حب هذا الشخص الفريد من نوعه بخصلات شعره [illegible] وبريق عينيه المرح الذي كان يدخل في نفسها [illegible] الراحة والأمان؟ وعلى كل حال فقد قال الياس إن دافيد [illegible] بالتأكيد قد تتعلم، مع الوقت، أن تبادله الشعور [illegible] لكنها نظرت إلى الياس وإلى خطوط صورته [illegible] الجانبية القاسية وأدركت أنها لن تستطيع الوقوع في حب [illegible] شخص آخر... طالما الياس شيبرد موجود في العالم نفسه.

www.lillas.com/vb3

«أهلاً، يا دافيد.» ردّت على التحية بود صادق [illegible] له ممتنة لمشاعره الصادقة نحوها ولكن [illegible] حين راح يضمها إلى صدره، إذ كان عناقه مختلفاً عن [illegible] الذي حضنها به في روزوود. فلقد كان قاسياً وخالياً من المشاعر وكأنه هو أيضاً كان يبتعد عنها. وفي [illegible] التالية أدركت سبب ذلك.

«دافيد؟» أتاها صوت بيكي وهي واقفة ورا[illegible] راحت مادلين تراقب وجه دافيد وهو ينظر من ورا[illegible] وبدا وكأن بريق عينيه الكستنائيتين يذوب في [illegible] الذي لا يخطىء والذي هو شعور الحب، وأصبحت [illegible] أكثر نعومة.

أخذت مادلين تشاهد في اندهاش فيما هو [illegible] بيكي ويشدها نحوه في عناق بعيد عن كل تجرد [illegible] ذلك في عينيه من قبل، وهي الآن ترى لمسة يده [illegible] موضوعة على خد بيكي.

شعرت مادلين بنيران الكراهية تتأجج في [illegible] وحاولت أن تكبح شعورها في الاعتراض على هذه [illegible] غير العادلة في ميزانها. أما بالنسبة لبيكي فقد كان [illegible] سهلاً، إذ أنها لا تدعي حب الشخص الذي [illegible] فحسب، بل حب ذلك الشخص الوحيد الذي أحب [illegible]

وقفت وهي غير مصدقة ما تراه، في حين كان [illegible] بيكي والياس إلى المسرح أمام الكاميرا، ثم هو [illegible] الجهة الأخرى. ولم يكن للوقت قيمة بالنسبة [illegible] كان المصور يلقي تعليماته ويضبط الأنوار على [illegible] ويأخذ صورة بعد صورة لبيكي والياس الجالس [illegible]

[illegible] كل ما كان يجري على المسرح ولكنها كانت تراه من خلال حجاب؛ وهي تنتقل إلى مكان ناء حيث لا ينال منها [illegible] وعادت إلى وعيها حين صرخ المصور بغضب ظاهر [illegible] «لتعزف هذه الفتاة الموسيقى، قد يضعهما ذلك في [illegible] ثم نجرب مرة ثانية.»

تنهدت مادلين وتحركت ببطء عبر المسرح لتتسلم [illegible] إلى البيانو. وراحت تحملق إلى أسفل وعيناها [illegible] من كل تعبير وكأنها لم ترَ من قبل لوحة مفاتيح.

تنامى إليها صوت الياس من الوراء قائلاً: «اعزفي لحن الحب يا مادي.» فقد كان هذا عنوان أغنية الفيلم. وارتفعت [illegible] بحركة آلية وهي تتساءل إذا كان عليها أن تطيع هذا الصوت دائماً، مهما كان طلبه. ثم انحدرت يدها اليسرى إلى المفاتيح وراحت تصدر ألحاناً وكأنها تنادي من أعماق [illegible] معذب. وخبت جميع الأصوات في البهو.

كان الجزء الأول من المقدمة حزيناً قاتماً يعكس [illegible]... تماماً كالنمط الموسيقي الذي قربها من مؤلفات [illegible] في البداية، مع فارق وحيد. فعلى خلاف الموسيقى [illegible] الكئيبة التي هاجمها النقاد بقسوة، في هذه [illegible] شيء مختلف... طبقة عالية راقصة تزداد ثلاثة [illegible] وتصدر بهدوء وبرشاقة عن الأوتار كالوعود [illegible] الربيع بعد عاصفة شتاء قاسٍ.

[illegible] مادلين على البيانو وهي تتنقل على أجنحة الموسيقى وشعرها الباهت الطويل يلمع كحبيبات بلور تحت الأضواء اللامعة.

كان انخطافها عظيماً حتى أنها لم تلاحظ كيف كان

www.lilas.com/vb3

الناس في البهو مأخوذين بروعة الأداء وقد أمسكوا عن [illegible] التنفس وكأنهم ينتظرون حدوث شيء ما. ولم تتعجب [illegible] اليد التي امتدت فجأة لتضغط برفق على كتفها. وراحت الموسيقى تصدح عالياً وفي شبه رقصة ملهبة بالأهازيج [illegible] وعرفت أنها يد الياس. وشعرت مرة أخرى بفيض [illegible] وهي تنساب من يده عبر جسمها وصولاً إلى لوحة [illegible] وكأنها صارت ملكه كما كان البيانو آلتها.

كان الشعور عميقاً حتى أنها أحست بقشعريرة [illegible] بيد أنها علمت أن شعورها هذا لن يطول أكثر من فترة [illegible] هذه.

كان يسيراً عليها أن تغمض عينيها وتترك [illegible] يرتفع مهللاً بأصوات الفرح التي كانت أناملها تؤديها [illegible] كان الادعاء بأن الأنامل التي كانت على كتفها [illegible] في لحمها وكأنه كان يعيرها بعضاً من قوته وهو [illegible] روحه بروحها ويأخذهما إلى أعلى، إلى حيث لم يحلق [illegible] الآن.

خلف عينيها المغمضتين رأت النجوم تتخيّر مثل [illegible] تلمع كالأسهم النارية في السماء المظلمة ويداها [illegible] والموسيقى ترتفع لتحية هذه النجوم. وفي مكان [illegible] الأغنية وعلى مسافة بعيدة، سمعت أحداً يصرخ [illegible] هذا رائع! لا تتوقفي» لكن الصوت بدا كأنه جزء من [illegible] انتهى عندما لامست أناملها آخر وتر بانتصار.

ثم حل صمت مطبق.

راحت تسمع تمتمات خفيفة وهي تمزق الصمت [illegible] وترتفع نبرتها تدريجياً وكان كل واحد حولها كان [illegible]

بوشك بهمس – ما عدا الياس، فقد كان ما يزال واقفاً خلفها. استطاعت أن تشعر بحضوره كما تشعر بدفء الشمس على ظهرها، ولكنه لم ينبس ببنت شفة.

أنصتت إلى صوت وقع أقدام تنقر خشبات المسرح ورأت المصور يسرع باتجاههما، وبيكي ودافيد وبضعة آخرين كانوا يواكبونهم. وكانت وجوههم غريبة في إماراتها وكأنها متحيرة بين الضحك أو البكاء.

سأل المصور مسروراً: «بالله عليكما، لم لم تأخذا معاً صورة الغلاف؟».

نظرت إليه مادلين وقد أربكها سؤاله.

تابع المصور قائلاً: «إنني أقول لكما إنني التقط لكما معاً، صوراً في دقيقة واحدة أكثر مما التقطت في الساعة الأولى...» استدار بسرعة إلى بيكي والمنتج قائلاً: «أنا أنجم عليك، يا آنسة. لقد بدوت رائعة مثلهما. لكن...»

ابتسمت له بيكي بشكل مدهش وقالت: «لا يجب عليك أن تعتذر. أنا أفهم ما...»

قالت مادلين مقاطعة: «ماذا تعني أنك التقطت صوراً لنا معاً؟».

«الصور، يا ملاكي.» تحرك دافيد ليجلس بجانبها وأمسك بيدها ثم تابع كلامه: «ألم تشاهدي المعان عرسة [illegible]»

لم تعلم كم من الوقت بقيت جالسة هناك بمفردها عندما شعرت ببيكي فجأة بجانبها، وعلى وجهها قناع قاس من الغضب.

هزت مادلين رأسها من دون أن تتفوه بكلمة، وهي

www.lilas.com/vb3

تتساءل كيف لم تنتبه للشيء الواضح مثل لمعان عدسات التصوير... ثم اتضح لها كل شيء بعد أن تذكرت النجوم التي راحت تضيء كالشهب: والأسهم النارية التي رأتها خلف عينيها المغمضتين.

قال دافيد: «هيا، أنا أعلم أنك لم ترحبي بفكرة التقاط صورة لكما معاً لاستعمالها على غلاف الأسطوانة. لا يوجد شخص في هذا المسرح، إلا ويعرف بالتحديد من يجب أن يحتل غلاف الألبوم... أنت والياس. معاً.»

قال المصور: «لا يمكنك أن تخدعي الكاميرا، أنت تعلمين ذلك. أنتِ ترتدين صورة شخصين متحابين؟ خذي صورة اثنين متحابين!»

جمدت مادلين في مقعدها وأصبحت يداها بارتخاء في يدي دافيد. يا إلهي، هل كانت شفافة إلى هذه الدرجة؟ هل لاحظ الجميع كيف تشعر تجاه الياس، بمجرد النظر إلى وجهها؟ قالت بسرعة وهي تحاول أن تنفي ذلك قبل أن ينفيه الياس: «لا، هذا ليس ما رأيتم. إننا نحب الموسيقى، ليس بعضنا بعضاً.»

بيكي علمت أنها كانت تكذب: رأت مادلين ذلك فوق وجهها. فقد لمعت العينان البنيتان بكراهية جليدية كأنها تحذير.

قالت مادلين في نفسها وهي تبتسم بألم، لا تقلقي يا بيكي. قد أحب الياس، ولكنك لن تجدي أية منافسة مني على المرأة التي يحب.

نظرت بيكي وراء مادلين فجأة، واتسعت حدقتاها بشيء بدا كأنه تحذير ثم ضاقت حدقتاها فيما هي تنظر

إليها وقالت حانقة: «عمل رائع، يا مادلين.» ثم استدارت حول المقعد بسرعة واختفت عن الأنظار.

تنهدت مادلين وأغمضت عينيها وهي تحاول أن تغوص إلى الأعماق حيث لم يصل الألم. لكن دافيد لم يكن يسمح لها بذلك. كان لا يزال جالساً إلى جانبها فوق المقعد، وذراعه فوق كتفيها وهمس في أذنيها: «إنك تقلقينه، يا ملاكي. ألا تستطيعين رؤية ذلك؟»

قطبت جبينها وهي تتساءل لِمَ لا يقول أحد اليوم شيئاً معقولاً. فقط لو يدعونها وشأنها: فقط لو تستطيع أن تختفي...

سمعت بيكي تنادي دافيد من مكان ما بعيداً عن خشبة المسرح، ابتسم بحزن وقفز بسرعة ليجيبها. ثم راقبت الآخرين بعدم مبالاة وهم يغادرون واحداً تلو الآخر. العرض انتهى والناس غادروا، فكرت بحرارة.

لم تعلم كم من الوقت بقيت جالسة هناك بمفردها. عندما ظهرت بيكي فجأة بجانبها، وعلى وجهها قناع قاس من الغضب.

قالت بحدة وهي تشير بإصبعها باتجاه الباب: «حسناً، هيا بنا. بفضلك، سوف نذهب بمفردنا إلى البيت في سيارة دافيد. إيلي ذهب من دوننا.»

قطبت مادلين جبينها لهذا التطور أيضاً الذي لا يبدو تصرفاً لائقاً. قد يكون الياس شعر بالإرتباك لما قاله المصور: وربما شعر بالغضب من كلام كهذا. قد قيل في حضور بيكي. ولكن ذلك ليس سبباً حتى يغادر بسرعة ويتركنا بمفردنا هنا.

www.liilas.com/vb3

سألت بيكي بصوت منخفض: «لمَ كان يجب أن يغادر بمفرده؟»

أجابت بيكي بفتور: «لأنه لا يحتمل وجودك معه. لهذا السبب. والآن لنغادر.»

هزت مادلين رأسها وهي شاردة، وغلّفت نفسها في غشاء اللامبالاة الذي عمل على حمايتها لسنوات خلت.

الفصل الخامس عشر

جلست مادلين في مقعدها داخل السيارة متصلبة، فيما كانت بيكي تقود سيارة دافيد باتجاه روزوود في صمت مطبق يخفي وراءه غضباً شديداً. وراحت مادلين تخاطب نفسها قائلة ما الذي يجعلها غاضبة هكذا؟ فقد نالت أخيراً ما كانت تصبو إليه... عودة الياس إلى روزوود وخروجي أنا منها...

أعطت لأفكارها بعض الراحة في محاولة لتقييمها من جديد. فهي لم تدرك إلا حتى هذه اللحظة أنها استسلمت للأمر المحتوم. فقد كانت مستعدة لمغادرة روزوود. تنهدت ثم تحولت برأسها لتشاهد الطبيعة تنبسط أمامها من خلال النافذة وهي تفكر في المرة الأولى التي قادها فيها الياس إلى روزوود. فهل كان ذلك منذ أقل من شهر؟ فقد بدا العالم مشرقاً كما مستقبلها في ذلك اليوم، في حين كان الربيع يتربع في كل الأمكنة التي رنت بنظرها إليها. وكانت الغيوم الداكنة تلامس الأفق، وقد أحست بثقلها على كتفيها.

استهلت حديثها وهي تعبة من هذا الصمت المشدود بينهما فسألت بيكي: «كيف سيسترجع دافيد سيارته؟»

أجابت وقد ارتعش فمها بغضب: «... سأعيدها الليلة. من المفترض أن أبقى معه لتناول العشاء.»

تحولت مادلين وهي تنظر إليها، وقد تقوس حاجباها الشاحبان قليلاً وقالت: «ستتناولين العشاء مع دافيد؟»

ربدت بيكي كلماتها على شكل ببغائي ملؤه السخرية قائلة:

«نعم... سأتناول... العشاء... مع... دافيد.»

«حسناً... ألا يمانع الياس في ذلك؟»

«ولماذا يمانع؟»

«لماذا يمانع؟ كيف تسألين عن ذلك؟ حتى أنه اختار أن يبقى بعيداً عنك في ذلك اليوم الذي ذهبا فيه ليتحدثا عن غلاف الأسطوانة.»

عيل صبر بيكي وهي تشد على فمها فقالت: «لا غرو في أن يكون دافيد متوتراً في ذلك اليوم.» وغمغمت كأنها تحدث نفسها: «لا مادلين: كان علي أن أخمن بأن الياس قد قال شيئاً من هذا القبيل.»

غمغمت مادلين وهي تنظر إلى حيث التفت يديها على حضنها: «كان عليه أن يتزوجك قبل أي شيء.»

قالت بيكي وهي تصرخ: «ماذا؟» فيما انحرفت السيارة قليلاً وقد تشنجت يداها وهما ممسكتان بالمقود وأردفت قائلة: «يا إلهي! ما هذا الذي تقولينه يا مادلين؟»

رفت عينا مادلين وهي تنظر إليها مندهشة وسألتها: «ماذا؟ وما الرهيب في ذلك؟»

«ما الرهيب في ذلك؟ هل جننت؟ أتزوج أخي؟»

كانت بيكي تغلي غضباً... وإشاراتها خير دليل على هذا... أما مادلين فلم تستطع أن تستوعب ما كانت تتفوه به. ولبرهة من الزمن لم تعد تنصت إلا لاندفاع أفكارها المجنونة وهي تحاول أن تعطي معنى لهذا العالم الذي انقلب فجأة رأساً على عقب.

استطاعت أخيراً أن تهمس قائلة: «أخوك؟ هل الياس... أخوك؟»

أدارت بيكي وجهها ببطء وراحت تنظر إليها وقد تقوس حاجباها بريبة ظاهرة وقالت بحذر: «بالطبع هو أخي، ولكنه غير شقيق... أنت تعلمين ذلك...» وعندما رأت عيني مادلين تتسعان ورأسها يهتز في دهشة صامتة، وقد عبرت الريبة وجهها ليحل محلها عدم التصديق سألتها: «كيف لا تعلمين بذلك؟» وراحت تحملق في الطريق أمامها وكأن في تجاهل مادلين هذا ثمة خطيئة كبيرة.

همست مادلين وقد تحركت شفتاها قليلاً: «لم يخبرني أحد بذلك.»

تابعت بيكي وهي تلح في سؤالها وقد تجهمت أساريرها: «ولكنك كنت تعلمين من أنا حين جئت إلى البيت في اليوم الأول. فقد قلت إن الياس أخبرك بأني قادمة...»

«قال لي بأنك قادمة، وإنك ستأتين كل يوم من القرية لتطبخي وتنظفي المنزل... ولم يقل لي البتة إنك أخته...»

صححت بيكي عباراتها هذه بسرعة آلية قائلة: «إنني أخته ولست بشقيقته. فقد كنا من الأب نفسه... ومن والدتين مختلفتين.»

جلست مادلين وهي ساكنة تحاول أن تتنفس، وأن ترف بعينيها وهمست قائلة: «لما لا تعيشان معاً في البيت نفسه؟»

هزت بيكي برأسها قائلة: «بعد طلاق أبويه. تزوج أبوه من أمي وأنجباني. عشنا لفترة خارج البلد ولم ألتق بالياس أبداً إلى أن حضر هو وأمه الجنازة...» وبدأ

www.liilas.com/vb3

صوتها ينخفض في نبرته فيما حاولت أن تستعيد السيطرة على أفكارها لبرهة ثم أردفت قائلة: «لم أكد أنتهي من المدرسة حتى قُتل أبواي في حادث سيارة... هكذا انتقلت عائلتي إلى دار البقاء في رفة جفن... وأثناء الجنازة، قال لي الياس وأمه إن لي عائلة في برايتون سكوابر وقد حان الأوان لأن أتعرف عليها. هل تصدقين ذلك؟ انتقلت إلى هناك بعد مرور سنة، وحتى يوم وفاتها كنت أحب والدة الياس، كما كنت أحب والدتي على وجه التقريب.»

بقيت مادلين صامتة بدهشة وهي تلمح ظلال الياس تلوح في صورة بيكي الجانبية لأول مرة. وراح فكرها يتوقف عند كل الأشياء التي حصلت في روزوود وهي تحاول أن تجد مغزى لها أو أن تدرك الحكمة من ورائها. تابعت بيكي قائلة: «هذه هي الحكاية. على الرغم من أنني لا أدرك الفارق الذي أحدثته.»

أخذت مادلين تحملق أمامها، وما يكاد يرف لها جفن وقد أرخت يديها على حضنها، وتمتمت قائلة فيما كان صوت محرك السيارة يختنق: «كل هذا الوقت وأنا أظن أنكما عاشقان.»

جمدت بيكي وهمست قائلة: «ماذا؟»

أومأت مادلين برأسها ببطء قائلة: «فقد كان واضحاً أن ثمة علاقة خاصة بينكما، في الطريقة التي كان يتحدث بها عنك وبالطريقة التي كنت تتصرفين بها عندما تكونان معاً... وأشياء أخرى بسيطة... وكنت أظن أنها...»

تأوهت بيكي وقالت: «آه، يا إلهي!»

أضافت مادلين بهمس خفي: «وكنت تكرهينني، وبقدر

ما كنت أحب الياس بقدر ما كنت تكرهينني...» تطايرت خصلات من شعر بيكي وهي تستدير لتنظر إليها وهمست قائلة: «تحبين الياس؟»

أومأت مادلين برأسها وارتعشت شفتاها.

راحت بيكي تحملق في الطريق أمامها لفترة من الوقت ورأسها يهتز بطريقة لا شعورية. ثم قالت أخيراً من دون أن تنظر إليها: «لقد كنت أكرهك يا مادلين لأنني كنت أظن بأنك لا تحبينه. لقد دعاني في الليلة التي تعرف فيها إليك وطلب مني أن أحث الخطى وأسرع إلى البيت لأنظف غرفة النوم لأنه كان مستقدماً معه المرأة التي كان ينوي الزواج منها، تلك المرأة التي أعادت إليه موسيقاه...»

أمسكت مادلين عن التنفس وراحت تحملق إليها قائلة: «لم يقل لي ذلك أبداً. لم يقل شيئاً من...»

بدت بيكي غير موافقة وقالت: «بالطبع لم يفعل. فقد كنت عازفته، تماماً مثل زوجته... فقد بدا الأمر شبيهاً بما حصل معه في المرة الأولى، وكان هذا الشيء يرعبه.»

تذكرت مادلين ذلك اليوم الأول الذي صرفاه في الاستديو، وقد كان الياس في غاية الحرص على أن يبقي تورطه العاطفي بعيداً عن تداخله مع موسيقاه...

تابعت بيكي قائلة: «إلا أنه لم يستطع ذلك. فقد كان مستحيلاً لديه أن يفكر فيك أو أن يعتبرك مجرد صديقة، كما أنت تعلمين مما حصل ليلة البارحة.»

تحولت مادلين برأسها من جانب إلى آخر لتنظر إليها ثم قالت: «تعلمين ما حصل ليلة البارحة؟»

تحولت قسمات بيكي أكثر جدية وقالت: «ما قاله لي

www.liilas.com/vb3

فقط... من أنه لستسلم لما شعر به منذ البداية، وأنه خاطر بكل شيء... وهذا الصباح طرحت كل شيء بوجهه.»

همست مادلين قائلة: «لقد حسبت أنه يحبك، لقد حسبتها غلطة رهيبة...» وتلاشت كلماتها فيما راحت تحملق إلى الزجاج الأمامي للسيارة وقد أدركت أن الأخطاء قد بدأت تتراكم قبل الأمس بكثير، وقبل أن تتعرف إلى الياس.

ابتسمت ابتسامة كئيبة وهي تفكر بكل ما استجلبته إلى داخل صداقتها مع الياس والذي كان سبباً في القضاء على هذه الصداقة. فقط لأن احداً لم يحبها قط، فكرت أن لا أحد يستطيع أن يحبها؛ ولأن الياس قد خدع مرة في حبه فقد ظن أن الحب هو الذي خدعه، وأن شعوره بالحب لا يمكن الركون إليه مطلقاً. لقد انشغلا كثيراً بملاحقة بؤس الماضي وفي الاستماع إلى تحذيرات الذاكرة حتى أنهما أضاعا فرصتهما في المستقبل.

إستغرقت في تفكيرها وهي تراقب طريق الأسفلت المنبسط أمامها وراحت تخاطب نفسها قائلة إن كثرة سوء التفاهم بينهما، منذ البداية، حدثت كلها لأنهما كانا جاهلين بما كانت الموسيقى تقول لهما. ونسيا أن الموسيقى لم تكن سوى تلك الأغنية الآتية من القلب.

أصلحت مادلين من جلستها وعيناها عالقتان في الطريق أمامها وقد اشتدت عضلات وجهها وهمست قائلة: «أسرعي يا بيكي. علي أن أرى الياس. علي أن أرجع إلى البيت.»

إبتسمت بيكي ابتسامة خفيفة، ووطئت دواسة البنزين وأعطت انتباهها للطريق أمامها.

الفصل السادس عشر

وقفت مادلين، بعد أن أنزلتها بيكي من السيارة، لبرهة من الوقت في الحديقة الأمامية وهي تنظر إلى المنزل، إلى لون المظلات الأبيض اللماع، وإلى الشجيرات المصطفة بانتظام حول الباب الأمامي، وإلى كل تلك المتغيرات التي أحدثتها كي تقول للعالم أجمع إنها مرت من هنا. ابتسمت لزنبقة الوادي التي أزاحت عنها غلافها وهي تشرئب الآن في ظلال الشجيرات الباردة وكأنها ترن أجراسها ترحيباً بها. وكانت الغيوم الداكنة وراءها تقبّل الأفق في رحيلها البعيد باتجاه الشرق فيما بقيت طبقات رقيقة منها لتخفف من وهج الشمس.

«الياس!» نادت وهي تدخل البيت. وأغلقت الباب خلفها ووقفت في المنزل الهادىء وهي تنصت إلى رجع صوتها. فقد كان هذا الصمت لا يحمل لها في طياته أية بشرى إلا أنه كان بالنسبة لها واعداً في مضمونه. ولم يكن يشوب هذا السكون غير دقات الساعة الرتيبة، المتصاعدة من المطبخ وهمهمة البراد الخفيفة. كل أصوات المنزل كانت تدل على ارتعاش الحياة فيه، ولكنها تنتظر على أحر من الجمر للترحيب بعودة مالكيه.

لامست حاشية فستانها الأسود أرض الغرفة الخشبية بمداعبة لطيفة وهي في طريقها إلى المطبخ. كما لامست

www.liilas.com/vb3

يدها الجدار في خلال مرورها. وكان رأسها مرفوعاً وابتسامة ناعمة تطوف على شفتيها.

ترددت قليلاً وهي أمام باب المطبخ وراحت تتساءل عما إذا كان البيت والحب والعائلة في متناولها. فهي لم تعترض أبداً على مصيرها، ولم تشعر قط أنها خليقة بالحب لتسأل عنه جهاراً. وربما كان هذا جزءاً من السبب الذي حدا بالعائلات التي أوتها إلى أن تستغني عنها... لأنها لم تدعها ترى كل ما يعتمر به قلبها من حب.

أحست بثقل الماضي يرتفع عنها، بعدما كان جاثماً عليها، ليذهب بعيداً. وكانت قدماها ما تكادان أن تلامسا الأرض وهي في طريقها إلى نافذة المطبخ لتنظر إلى الخارج.

كان الياس في الخارج، وهو جاثم على ركبتيه في حديقة وردها. وهو لا يزال مرتدياً سترته السوداء والتي لبسها في ذهابه إلى المدينة. ورأت رأسه المنعكس من خلال الزجاج فيما كان عاكفاً على قاعدة إحدى الشتلات وشعره الأسود يرتعش مع حركة يديه.

عندما خرجت لملاقاته، لم تشعر فقط أنها امرأة سائرة لملاقاة الرجل الذي تحب، بل شعرت وكان موجة عشق مزبدة لا ترحم، تحملها من واقعها الأسود إلى شاطىء قدرها المشرق.

توقفت قربه وراحت تنظر في حدقتيه الخضراوين اللتين كانتا تبادلانها النظر. وقالت له: «لقد اكثرت من ملابسك لعمل كهذا، يبدو أن علينا أن نجلب لك بعض الملابس الخاصة بالحديقة.»

افتر ثغرها بارتعاشة محيرة وأحست ماذلين بفيض مؤلم من حنانه يغمرها.

نظر إلى ركبتي السروال وقد تلطختا بالتراب وهز بكتفيه لا مبالياً. عندما نظر إليها مجدداً أجفل قليلاً، فيما راحت هي تتساءل إذا كان هذا التحول الحاصل في كنهها كان ظاهراً على تعابير وجهها. وللحظة واحدة ارتفعت الستارة الدفاعية عن عينيه ولمحت ماذلين بريق أمل وتوق، وألم كل انعكاسات لحساساتها القديمة، ثم هبطت الستارة ثانية وتحول وجهه إلى البرودة.

«لا أحتاج إلى ثياب البستنة. فلا أنوي البقاء في روزوود.»

كان احساساً غريباً أن تبتسم لكلمات كانت ترسل روحها لتحلق عالياً منذ فترة قصيرة من الوقت. فلا يهم إذا كانا سيغادران روزوود لأنها باتت تعلم الآن أن البيت الذي تاقت إليه لم يكن مكاناً ـ حتى ولو كان مكاناً أحبته كهذا.

قالت بهدوء: «حسناً. إذا كنت تريدنا أن نذهب إلى مكان آخر، فسنذهب.»

نظر إليها ووجهه خلو من أي تعبير وقال: «عمَّ تتكلمين؟ عليك أن تدركي أكثر من أي شخص أننا لن نعمل سوية بعد الآن... فهذا... صعب.»

سألته وهي تحاول أن تبقي نبرة صوتها خفيفة: «لماذا؟» أما في داخل نفسها فقد كانت تصرخ فيه ليتفوه بها، ليتفوه بها جهاراً مرة واحدة فقط: لو كانت تبكي محقة من أنه احبها كل ذلك الوقت، لماذا لا يقول ذلك؟

www.liilas.com/vb3

غمغم قائلاً وهو لا يزال جالساً على الأرض: «تعلمين تماماً السبب.»

ألحت عليه قائلة وفي صوتها ارتعاشة: «قل لي. أريد أن أسمعها منك تقولها جهاراً.» وكانت يداها متشبثتين إلى جانبيها وجسمها منحنياً إلى الأمام. فقد كان مستقبلها متوقفاً على جوابه.

رمى بحفنة من التراب إلى الأرض ووثب واقفاً وأردف قائلاً: «هل تريدين سماعها عالياً؟ حسناً: لأنني لا أستطيع الاضطلاع باتفاق كهذا! لا أستطيع أن أتابع هكذا وأنا أدعي أن كل ما أحس تجاهك هو محض صداقة...»

وأغمض عينيه بهدوء فجأة وارتخت كتفاه وتابع قائلاً بهدوء: «لا يزال الحب يعترض طريقنا. لقد قلت لك كل ذلك... في ذلك الصباح الذي كان فيه دافيد في البيت. أتذكرين؟»

عكس وجهها لحظة من الألم. وراحت تتذكر ذلك الصباح وما قاله لها الياس في أن الأحاسيس قد تداخلت مع علاقتهما المهنية منذ البداية. إلا أنها خمنت أنه كان يتحدث عن عواطفها وأحاسيسها هي لا أحساساته هو.

تمتمت قائلة وقد صفعتها أصوات الكلمات: «أنت تحبني؟»

التوى فمه بابتسامة وراح ينظر إلى جهة واحدة، وأجابها في نبرة جافة: «لقد كان الأمر واضحاً منذ البداية. أليس كذلك؟ وقد كان أكثر مما كنت تراهنين عليه. وقد كان ذلك واضحاً أيضاً.»

الآن أصبح كل شيء تحت المجهر! وبطلت الادعاءات.

«هل أنت الراضية الآن؟» استدار برأسه وجعل يحملق فيها وأجفل حين رآها تبتسم لألمه فقال: «أعتقد أن عليك أن تحزمي أمتعتك، يا مادلين. سأقودك إلى المنزل.»

راحت تتذكر تلك اللحظات التي كان فيها الناس يقولون لها إن عليها أن ترحل...

أغمضت عينيها لبرهة وشدت على فكها بحزم. وقالت بهدوء: «أنا في بيتي.» استدار بوجهه ببطء لينظر إليها وراح وجهه الجميل يختفي ويظهر من أمام عينيها اللتين اغرورقتا بالدموع وقالت: «لقد علمت أنني في بيتي في اليوم الأول الذي رأيت فيه وجهك.» وأضافت بما يشبه الهمس: «لم أكن أظن أنك تريدني.»

فغر فاه وخرجت كلماته في دهشة، أشبه بالهمس: «لم تكوني تعتقدين أنني كنت أريدك؟»

ارتعشت شفتاها فيما كانت تومىء برأسها وترفع عينيها وهي تراقب عينيه وقد اسودتا كمن كان خائفاً من أن يشم الفرح لعلمه بأنه سينتشل منه. إنها نظرة تعرفها جيداً لكثرة ما كانت تنظر إليها في المرآة. وكانت هناك أشياء كثيرة ترغب في قولها له، وفي حاجة للشرح إلا أن الوقت لم يكن ملائماً.

ابتسمت له وهي تبكي، تتعجب كم كانا يتشابهان في نواح عديدة... ما عانياه من النبذ حتى أنهما تعلما أن يخافا من الحب نفسه. فقد أعمى الخوف بصيرتهما، فلم يستطيعا أن يريا الحب في عيون بعضهما بعضاً.

همس باسمها وعيناه تطوفان في وجهها ثم تضيئان بخضرة الربيع الواعد بعد فترة من الشتاء الطويل وقال،

هامساً: «أنت تحبينني، يا مادي. يا إلَهي، أنت تحبينني...»

أمسك بها من كتفيها وقد ضاقت حدقتاه وقال لها: «قولي لي إنك تحبينني، يا مادلين. قوليها عالياً.»

تحركت شفتاها وهي تحاول أن تجد الكلمات التي لم تتفوه بها بعد، وقبل أن تنبس بكلمة، بدأ بعناقها.

همس في أذنها قائلاً: «قولي إنك تحبينني.» شعرت بكلمات لم تتفوه بها قبلاً تطير هاربة من فمها.

اتسعت عيناها للحظة، وهي تشاهد هالة الغيوم التي تحيط بوجه الياس، وقد مزقتها الريح أخيراً ونثرتها. ومن خلال الستارة البيضاء والنور والدفء، وبالقرب من الياس ومادلين، تفتحت أولى براعم الورد لتستقبل قبلة الحياة.

تمت

www.liilas.com/vb3